## اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ

صَلاَةٌ لِدَاوُدَ

1 أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ. اسْتَجِبْ لِي لأَنِّي مِسْكِينٌ وَبَائِسٌ أَنَا. 2احْفَظْ نَفْسِي لأَنِّي تَقِيٌّ. يَا إِلهِي خَلِّصْ أَنْتَ عَبْدَكَ الْمُتَّكِلَ عَلَيْكَ. 3ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي إِلَيْكَ أَصْرُخُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. 4فَرِّحْ نَفْسَ عَبْدِكَ، لأَنَّنِي إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي، 5لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ.

6اصْغَ يَا رَبُّ إِلَى صَلاَتِي، وَأَنْصِتْ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. 7فِي يَوْمِ ضِيقِي أَدْعُوكَ، لأَنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِي. 8لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ، وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ. 9كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ، وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ. 10لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ.

11عَلِّمْنِي يَا رَبُّ طَرِيقَكَ، أَسْلُكْ فِي حَقِّكَ. وَحِّدْ قَلْبِي لِخَوْفِ اسْمِكَ. 12أَحْمَدُكَ يَا رَبُّ إِلهِي مِنْ كُلِّ قَلْبِي، وَأُمَجِّدُ اسْمَكَ إِلَى الدَّهْرِ، 13لأَنَّ رَحْمَتَكَ عَظِيمَةٌ نَحْوِي، وَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْهَاوِيَةِ السُّفْلَى.

14اَللهُمَّ، الْمُتَكَبِّرُونَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَجَمَاعَةُ الْعُتَاةِ طَلَبُوا نَفْسِي، وَلَمْ يَجْعَلُوكَ أَمَامَهُمْ. 15أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ. 16الْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي. أَعْطِ عَبْدَكَ قُوَّتَكَ، وَخَلِّصِ ابْنَ أَمَتِكَ. 17اصْنَعْ مَعِي آيَةً لِلْخَيْرِ، فَيَرَى ذَلِكَ مُبْغِضِيَّ فَيَخْزُوا، لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ أَعَنْتَنِي وَعَزَّيْتَنِي.

# وحِّد قلبي لخوف اسمك

هذا المزمور هو الوحيد في الجزء الثالث من المزامير (مز 73–89) الذي كتبه داود، وعنوانه «صلاة لداود». وتشترك كل مزامير داود في أنها تتحدَّث عن عدوٍّ يهاجم، ومصاعب تزعج، ولكنها تنتهي دوماً بالانتصار بفضل الرب. وفي أثنائها يرى المرنمُ العدوَّ بوضوح، ولكنه يرى الله أكثر وضوحاً.

يتميز هذا المزمور بعدة أمور، فهو صلاة تبدأ بالشكر وتنتهي بالشكر، رغم أنه لا يقول إن الأزمة انتهت أو حتى تكاد تنتهي، مما يعني أن المرنم يَرى مَن لا يُرى وما لا يُرى. إنه يرى الشمس خلف الغيمة، ويدرك أنه بعد ظلمة الليل الشديدة لا بد أن يجيء الفجر، ثم تُشرق شمس صباح اليوم الجديد. في حياة كل مؤمن حقيقي بالمسيح صليبٌ، لا ينتهي الأمر به، لأن القيامة والصعود والمجد ومجيء المسيح ثانية تجيء بعد ذلك الصليب، فيتعبَّد المؤمن إلى الرب الذي يصفه أليهو (صديق أيوب) بأنه «مؤتي الأغاني في الليل» (أي 35: 10)، ويقول: «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز 30: 5)، ومرنمنا لم يرَ بعدُ شمس الصباح، لكنه واثق أنها لا بد ستشرق، فالانتصار النهائي دوماً للمسيح، ولكل من يتبعه.

ويتميَّز هذا المزمور أنه (في لغته العبرية الأصلية) يذكر اسم الجلالة «أدوناي» سبع مرات، بمعنى أنه السيد والرب، الذي يتعبَّد له المرنم ويحيا في خدمته، وبالتالي يعيش تحت حمايته وبفضل إرشاده. وهو في هذا يسير في خُطى والدته، ويقول: «خلِّص ابن أَمَتك» (آية 16) كما قالت العذراء القديسة مريم للملاك: «هوذا أنا أَمَة الرب. ليكن لي كقولك» (لو 1: 38). وقد كرر داود الوصف نفسه في مز 116: 16 إذ قال: «أنا عبدك ابن أمتك». وسيادة الله تعني أن يده القوية الكريمة تمسك بالعدو الشرير الذي يطارد داود، وتجعله يحقق المقاصد الإلهية دون أن يدري. ويحيا كل مؤمن في حماية الرب مثل عليقة تتوقَّد بالنار لكنها لا تحترق (خر 3: 2)، فيتقدم روحياً بالرغم من الصعوبات التي تعترضه، بل إنها تجعله أكثر قوة. تقول أسطورة إن الطيور أول ما خلقها الله اشتكت له من ثقل جناحيها، لأنها لم تكن تعلم أن هذا «الثقل» هو الذي سيجعلها تحلِّق عالياً. إن رفع الأثقال هو الذي يقوّي العضلات. وعندما يسمح الله لنا أن نحمل حملاً ثقيلاً يعطينا القوة التي تمكننا من حمله، وتبقى هذه القوة معنا بعد زواله، فيتلاشى الحمل وتبقى النعمة، لأن الرب لا يسترد نعمته الموهوبة. فطوبى للمؤمنين الذين يدركون أنهم عبيد السيد الرب، وأن الكون كله في يده يحقق مقاصده.

ويتفرَّد هذا المزمور أيضاً بطلبة «وحِّد قلبي لخوف اسمك» (آية 11ب). فما أكثر ما تتنازعنا هموم العالم وغرور الغنى واشتهاء الماديات، فنتشتَّت. فلنرفع صلاة المرنم هذه، عالمين أن «شهوة الصديقين تُمنَح» (أم 10: 24) وهي شهوة عمل مشيئة الرب، والحياة في طاعته وخدمته.

ويتميَّز هذا المزمور أيضاً بالقول: «كل الأمم الذين صنعتَهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجِّدون اسمك» (آية 9) فيرفع أبصارنا إلى مجيء المسيح ثانية الذي يجب أن نستعد له، لا لأن الأحداث السياسية تذكِّرنا به، لكن لأن مخلِّصنا أكَّده لنا (مت 24

مثلاً). فلنكن دائماً منتظرين وطالبين سرعة مجيئه، فتراه كل عين والذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض (رؤ 1: 7) فتفيض دموع المؤمنين فرحاً لاستقباله ويخضعون له، وتنهمر دموع الذين ابتعدوا عنه رعباً من سوء المصير.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب الغفران (آيات 1–5)
ثانياً – طلب النجاة (آيات 6–10)
ثالثاً – طلب التكريس (آيات 11–13)
رابعاً – طلب آية (آيات 14–17)

# أولاً ـ طلب الغفران
## (آيات 1-5)

في هذا الجزء من المزمور يطلب المرنم الغفران من الله الغفور وكثير الرحمة، للأسباب التالية:

**1** - بسبب بؤس المرنم: «أَمِل يا ربُّ أذنك. استجب لي، لأني مسكينٌ وبائس أنا» (آية 1). يشعر المرنم بصغر النفس وقِلَّة القيمة أمام عظمة الرب وارتفاعه، كما صرخ إشعياء وهو يرى عظمة الله: «ويلٌ لي. إني هلكت، لأني إنسانٌ نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود» (إش 6: 5)، وكما صرخ بطرس وهو يختبر معجزة صيد السمك الوفير، فقال للمسيح: «اخرُج من سفينتي يا رب، لأني رجلٌ خاطئ» (لو 5: 8). إنه «مسكين بالروح» (مت 5: 3) يشعر ببؤسه، ويدرك أن الله العليَّ العظيم محب قريب، فيطلب منه أن يميل أذنه إليه، وأن يدنو منه وينحني عليه ليسمع طلباته. وكأنه يقول مع جدِّه يعقوب: «صغيرٌ أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعتَ إلى عبدك» (تك 32: 10). إنه يدرك حجمه وقدراته المحدودة، كطفل صغير يقف إلى جوار أمه، يصرخ بكل ما فيه من قوة، فتحنو الأم عليه، وتنحني حتى تصل إلى مستوى قامته، وتميل أذنها إليه، وتسمع شكواه، وتهتم به، وتطعمه، وتطمئنه. والمرنم يعلم أنه مسكين وبائس، لا نفوذ عنده ولا مال ولا عِلم، ولكنه يلجأ إلى الله المحب، عالماً أنه لا بد سيستجيبه ويغفر خطاياه.

2 - بسبب تقوى المرنم: «احفظ نفسي لأني تقي. يا إلهي خلِّص أنت عبدك المتَّكل عليك» (آية 2). هناك علاقة قويَّة بين المرنم وإلهه، فهو «تقي» وهو «عبد» وهو «متَّكل» وهو واثق أن الله يحبه. وفي تقواه، واستعباد نفسه لله، واعتماده على محبة الله وأمانته وصدق مواعيده، يطلب منه أن يحفظ نفسه من التجارب وأعداء الصلاح، لأنه«حافظٌ نفوس أتقيائه» (مز 97: 10) وكأنه يصلي: «لا تُدخِلنا في تجربة، لكن نجِّنا من الشرير» (مت 6: 13). وهذا ما فعله المسيح لبطرس، فقال له: «الشيطان قد طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكنني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو 22: 31). ولما كان كل مؤمن مستهدَفاً من العدو، فيطلب الحفظ والخلاص الإلهيين، من الخطايا الماضية بالغفران (لو 7: 48، 50) ومن خطايا الحاضر بالتقديس والتطهير (في 2: 12، 13) كما ينتظر منه مستقبلاً أن يكمل خلاصه بتمجيده في السماء (1بط 1: 5). وخلاص الرب يشمل كل نواحي الحياة، فهو يخلِّص من هجوم الأعداء (مز 27: 1–3)، ومن المرض (لو 8: 36)، ومن الجوع (مز 36: 6)، ومن كل ضيق (مز 34: 6). وقول المرنم: «خلِّص أنت» يعني ثقته أنه لا خلاص له بعيداً عن إلهه، ففي الضيق يصلي المرء مع الملك حزقيا: «أيها الرب إلهنا، خلِّصنا من يده (العدوّ)، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (إش 37: 20) وفي خطاياه يستمع المرء إلى نصيحة الرسول بطرس: «ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع 4: 12).

3 - بسبب صراخ المرنم: «ارحمني يا رب لأنني إليك أصرخ اليوم كله» (آية 3). يصرخ المرنم اليوم كله لأنه يرى خطاياه، ويشعر بشديد حاجته إلى الغفران الإلهي. إنه في غاية الكرب والضيق لأنه يعلم أن أعماله الصالحة وجهاده الشخصي وتعبُّده وبكاءه وندمه لن تمنحه الغفران. ويصف الرسول بولس حالة الخاطئ بأنه ميت في ذنوبه وخطاياه، لأنه بعيد عن الله. ويوضح أن الأمل الوحيد للحصول على الغفران هو في «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبَّنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح، وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليُظهر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف 2: 4–9).

4 - بسبب حزن المرنم: «فرِّح نفس عبدك، لأنني إليك يا رب أرفع نفسي» (آية 4). لا يوجد شيء يكسر قلب الإنسان أكثر من الخطية والبُعد عن الله والشعور بالذنب، فالخطية حِملٌ ثقيل، وهمٌّ مرعب. ولا يقدر العالم أن يعطي أتباعه الفرح الحقيقي

والدائم، فحتى أخباره التي تبدأ مفرحة تنتهي بالحزن والألم. وقد اكتشف الملك داود هذه الحقيقة، فلجأ إلى الرب، المصدر الوحيد للفرح الحقيقي، ورفع نفسه من بؤسها إليه وطلب الفرح، لأن فرح الرب هو قوته (نح 8: 10). قال المرنم: «فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي» (مز 109: 22)، وقال النبي إرميا: «توجعني جدران قلبي. يئنُّ فيَّ قلبي» (إر 4: 19). ولجأ المرنم، كما لجأ النبي إرميا إلى الرب رافع نفس الإنسان من حفرة الحزن واليأس، فكان لهما ما أرادا. فلنردد مع الرسول بطرس قوله: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو 6: 68) لأنه قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11: 28). وعندما نجيء إليه تائبين، طالبين فرح الغفران نقول: «أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بي. عوني ومنقذي أنت» (مز 40: 17) ونطيع الوصية الرسولية: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا» (في 4: 4).

5 - بسبب ثقة المرنم: «لأنك أنت يا رب صالحٌ وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك» (آية 5). يطلب المرنم الغفران وهو واثق من نواله لأن الله صالح وغفور وكثير الرحمة، وقلبه متَّسع لكل من يدعوه. «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف. بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية» (خر 34: 6، 7). وبسبب هذه الصفات يدعونا: «ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح، ومزِّقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم، لأنه رؤوف رحيم، بطيء الغضب وكثير الرأفة» (يوئيل 2: 12، 13).

# ثانياً ـ طلب النجاة

## (آيات 6-10)

طلب المرنم الغفران من الإله الصالح الغفور كثير الرحمة، ووثق في الاستجابة، فاتَّجه إليه مرة أخرى يطلب منه الفرج من ضيقاته. وكثيراً ما يحس الخاطئ بعدم أهليَّته لطلب أي شيء من الله، لأنه يعلم أنه غير راضٍ عنه. لكن عندما يعلم أن الله قبله وغفر له يتقدم بثقة إلى عرش النعمة. في هذه الآيات الخمس يقدم المرنم طلب النجاة من الضيق (آيتا 6، 7)، ثم يمجد الله الذي سينجيه (آيات 8–10).

**1** - تضرعات المرنم: «اصغ يا رب إلى صلاتي وانصت إلى صوت تضرعاتي. في يوم ضيقي أدعوك لأنك تستجيب لي» (آيتا 6، 7). كان المرنم يعلم أن ضيقه مؤقت، وليس كل يوم! فلم يقُل «سنة ضيقي» ولا «عُمر ضيقي» لأن الرب لا يسمح للمؤمن أن يتضايق بلا نهاية، كما قال المسيح لملاك كنيسة سميرنا: «يكون لكم ضيق عشرة أيام. كُن أميناً إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة» (رؤ 2: 10). وكما يوجد يوم ضيق، يوجد أيضاً يوم فرج وبركة، لأن الرب يستجيب صلاة المؤمن المتضايق، وقد أمره: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدَني» (مز 50: 15). و«الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (1كو 10: 13).

**2** - إله المرنم: (آيات 8–10).

(أ) **هو الأعظم**: «لا مثلَ لك بين الآلهة يا رب، ولا مثلَ أعمالك» (آية 8). عبد فرعون أصناماً، وعبد موسى الإله الحي، الذي لا يمكن مقارنة عظمته بآلهة الوثن، فالرب هو الله وليس آخر سواه (تث 4: 35). ترنَّم موسى وشعبُه المفدي لهذا الإله الحي، صانع السماوات والأرض، الذي ينجي الداعي الذي يدعوه وهم يرون جيش فرعون يغرق، فقالوا: «مَن مثلُك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزاً في القداسة. صانعاً عجائب؟» (خر 15: 11). وله قال موسى وهو على مشارف أرض الميعاد: ««يا سيدُ الربُّ، أنت قد ابتدأت تُري عبدك عظمتك ويدك الشديدة. فإنه أيُّ إلهٍ في السماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك؟» (تث 3: 24). هذا الإله عظيم في صفاته وأعماله، فعّال لما يريد «الذي نجانا من موتٍ مثلِ هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 10).

(ب) **يسجد له كل البشر**: «كل الأمم الذين صنعتَهم يأتون ويسجدون أمامك يا ربُّ، ويمجِّدون اسمك» (آية 9). «صنع من دمٍ واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض، وحتم بالأوقات المعيَّنة وبحدودِ مسكنهم» (أع 17: 26). فلا بد أن يجيء اليوم الذي فيه يسجدون جميعهم له، يمجدونه بشفاههم وبأعمالهم الصالحة. لم تتحقق هذه النبوَّة الكريمة بتمامها بعد، ولكن لا بد أن تتم. لقد تمت جزئياً في قول المسيح: «إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو 12: 32) فآمن به بلايين البلايين بعد أن رُفع علي الصليب. ولكن سيجيء الوقت الذي تتحقق فيه هذه النبوة بكمالها، عندما يجيء المسيح ثانيةً بمجده إلى أرضنا، فتجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن المسيح هو رب (في 2: 10، 11) «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده، واسمه وحده» (زك 14: 9). ويتحقق قول

المرنم: «تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم، لأن للرب المُلك، وهو المتسلط على الأمم» (مز 22: 27، 28). كما تتحقق نبوة إرميا: «ولا يعلِّمون بعد كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه قائلين: اعرفوا الرب، لأنهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب» (إر 31: 34). وهذا هو موضوع ترنيمة موسى والحمل «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلةٌ وحقٌ هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك؟ لأنك وحدك قدوس. لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهِرت» (رؤ 15: 3، 4).

(ج) **يُجري المعجزات**: «لأنك عظيم أنت وصانعٌ عجائب. أنت الله وحدك» (آية 10). يصنع الله معجزات كل يوم في العناية بمخلوقاته «تأملوا الغربان، إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن، والله يقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور!» (لو 12: 24). قال لموسى: «ها أنا قاطعٌ عهداً: قدام جميع شعبك أفعل عجائب لم تُخلَق في كل الأرض وفي جميع الأمم، فيرى جميع الشعب الذي أنت في وسطه فِعل الرب. إن الذي أنا فاعله معك رهيب» (خر 34: 10). قد يصادفنا شيء جميل نقول إنه أعجوبة، لكنه لا يتكرر. أما معجزات الله فهي واحدة بعد الأخرى، وهي لا تجري صدفةً، بل بتدبير سماوي يفوق كل إدراكنا البشري.

# ثالثاً ـ طلب التكريس
## (آيات 11-13)

بعد أن نال المرنم الغفران والنجاة قرر أن يعيش لله كل أيام حياته حياة الاتِّباع والطاعة والحب.

**1** - قلب موحَّد: «علِّمني يا رب طريقك، أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك» (آية 11). يطلب المرنم أن يتعلم طريق الرب، طريق الحق، الطريق المستقيم، فيسلك فيها بكل قلبه، ويتَّجه بمجامع نفسه نحو الرب وحده، فليس من يستحق الثقة المطلقة والطاعة الكاملة إلا هو! تقول الوصية الأولى والعظمى: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (تث 6: 4، 5). «ماذا يطلب منك الرب إلهك، إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك» (تث 10: 12). والمرنم يعلم صعوبة تنفيذ هذا الطلب، ويتفق مع القول: «لأني لستُ أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده، بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لستُ بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ» (رو 7: 15–17). وفي صلاته «وحِّد قلبي» يرفض انقسام ولائه، وكأنه يصرخ: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي» (مز 51: 10)، فيتحقق معه الوعد الإلهي: «وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام، لخيرهم وخير أولادهم من بعدهم» (إر 32: 39).

2 - قلب شاكر: «أحمدك يا رب إلهي من كل قلبي، وأمجِّد اسمك إلى الدهر، لأن رحمتك عظيمةٌ نحوي، وقد نجَّيت نفسي من الهاوية السفلى» (آيتا 12، 13). يسبِّح المرنم ربه لأن الترنُّم صالح، لأنه مُلذٌّ. التسبيح لائق (مز 147: 1) ويسبِّح ربَّه بسبب فضل الله عليه وعلى أُمَّته، فيقول: «أحمدك بين الشعوب يا رب. أرنِّم لك بين الأمم، لأن رحمتك قد عظُمت إلى السماوات، وإلى الغمام حقُّك» (مز 57: 9، 10). وربما يقصد المرنم بنجاته من الهاوية السفلى نجاته من حفرة ومكيدة دبَّرها له أعداؤه وفشلوا في تنفيذها.. أو لعله كان معرَّضاً للموت، فنجاه الرب من الهاوية السفلى، وهي القبر.. ولعله كان يفكر في أمَّته المعرَّضة للهزيمة والسبي، فأنقذها الله من الهاوية السفلى بنصرٍ من عنده. حقاً «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته.. الذي يفدي من الحفرة حياتك» (مز 103: 2، 4).

# رابعاً ـ طلب آية
## (آيات 14-17)

يطلب المرنم من الرب أن يصنع معه آية، لأربعة أسباب:

**1** - بسبب شرور أعدائه: «اللهمَّ، المتكبِّرون قد قاموا عليَّ، وجماعة العُتاة طلبوا نفسي، ولم يجعلوك أمامهم» (آية 14). عندما وشى أهل برية زيف بداود، وقالوا لشاول إن داود عندهم، صلى داود: «غرباء قد قاموا عليَّ، وعتاة طلبوا نفسي. لم يجعلوا الله أمامهم» (مز 54: 3). ومع أن أهل برية زيف كانوا أقرباء داود حسب الجسد، إلا أنهم كانوا غرباء عنه في مشاعرهم، فلجأ إلى إلهه القريب منه طالباً الإنقاذ، وكأنه يردِّد: «لأنه قد أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفتني» (مز 22: 16).

**2** - بسبب رحمة إلهه: «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة والحق» (آية 15). صحيح أن الأعداء متكبرون عتاة لا يخافون الله، ولكنه واثق من رحمة إلهه، فيتشجع ويطلب الرحمة والرأفة، كما يطلب العدالة. إنه يستحق عقاب الله على خطاياه، ولكنه يثق أن الله لم يهمله ولن يتركه.

**3** - بسبب انتمائه لإلهه: «التفت إليَّ وارحمني. أعط عبدك قوتك، وخلِّص ابن أمتك» (آية 16). يحس داود أنه عبد لله، مولود في بيت سيده (تك 14: 14) يُوثَق فيه ويؤتمَن على مسؤولية. إنه من أهل البيت (أف 2: 19) وهو يشبه النبي صموئيل الذي نذرته أمه للرب. وبسبب هذه العلاقة الخاصة جداً طلب الرحمة والخلاص. لقد وعد الرب عبده ابن أَمَته بمواعيد صالحة، حقَّقها لأنه إلهٌ صالح وكثير الرحمة والحق، ولا بد أن يستمر معه يجدد له تحقيق ما سبق أن وعده به، قائلٌ له: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (2كو 12: 9).

**4** - ليخزَى أعداؤه: «اصنع معي آيةً للخير فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزَّيتني» (آية 17). يطلب المرنم آية جديدة منظورة وواضحة. لقد سبق وصنع الله معه آيات ومعجزات كثيرة، أعانته في محنته، وعزَّت قلبه وشجعته في الماضي. ويحتاج الموقف الجديد إلى آية جديدة للخير، بحسب وعد الرب «أَجعل عينيَّ عليهم للخير.. وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقلعهم، وأعطيهم قلباً ليعرفوني أني أنا الرب، فيكونوا لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً، لأنهم يرجعون إليَّ بكل قلبهم» (إر 24: 6، 7). حقاً «إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير، وصَوْلته (نفوذه) وغضبه على كل من يتركه» (عز 8: 22). «هكذا قال الرب: في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتُك، فأحفظك.. ترنَّمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض. لتُشِدِ الجبال بالترنُّم لأن الرب قد عزَّى شعبه، وعلى بائسيه يترحَّم» (إش 49: 8، 13).

ليستجب الله صلاتنا ونحن نصلي مع داود: «التفِت إليَّ وارحمني. أعط عبدك قوتك وخلِّص ابن أمتك» وليكن الرب سيد حياتنا، وصاحب الكلمة الأخيرة في كل قراراتنا وأعمالنا.

## اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ

لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورُ تَسْبِيحَةٍ

1 أَسَاسُهُ فِي الْجِبَالِ الْمُقَدَّسَةِ. 2الرَّبُّ أَحَبَّ أَبْوَابَ صِهْيَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَسَاكِنِ يَعْقُوبَ. 3قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ. سِلاَهْ

4أَذْكُرُ رَهَبَ وَبَابِلَ عَارِفَتَيَّ. هُوَذَا فَلَسْطِينُ وَصُورُ مَعَ كُوشَ. هَذَا وُلِدَ هُنَاكَ. 5وَلِصِهْيَوْنَ يُقَالُ: «هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا الإِنْسَانُ وُلِدَ فِيهَا، وَهِيَ الْعَلِيُّ يُثَبِّتُهَا». 6الرَّبُّ يَعُدُّ فِي كِتَابَةِ الشُّعُوبِ أَنَّ هَذَا وُلِدَ هُنَاكَ. سِلاَهْ.

7وَمُغَنُّونَ كَعَازِفِينَ كُلُّ السُّكَّانِ فِيكِ.

# مدينة الله

هذا المزمور ترنيمة ابتهاج بصهيون، حيث هيكل الرب الذي بناه سليمان. وصهيون معناها «الحصن» والجبل المنيع الذي له مكانة خاصة عند بني إسرائيل، لأن داود استولى عليه من اليبوسيين بقوة الرب، فأُطلق عليه اسم «مدينة داود» (2صم 5: 7)، ونقل إليه تابوت عهد الرب (2صم 6: 10–12)، فصار الحصن مكان سكنى الله، ورمز حضوره وسط شعبه، ورمز الانتصار على العدو. ثم بنى الملك سليمان هيكله على جبل المريا ونقل إليه التابوت. واتسع نطاق صهيون لتشمل حصن صهيون وجبل المريا، وصار المريا معروفاً بصهيون حيث هيكل الله، وموضع قدسه، حتى قال المرنم: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه، جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون.. مدينة الملك العظيم» (مز 48: 1، 2). وكثيراً ما تطلق التوراة اسم صهيون على مدينة أورشليم كلها (مثلاً 2مل 19: 21 وإش 1: 8).

يحقق مزمورنا ما جاء في مزمور 86: 9 «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك» وهذه نبوَّة تحققت بصورة مجيدة يوم الخمسين في الكنيسة التي امتدت إلى كل الأمم، الذين كانوا بدون مسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، فصاروا في المسيح رعيَّة مع القديسين وأهل بيت الله (أف 2: 12، 19). وصهيوننا وأورشليمنا اليوم روحيتان، هما الكنيسة التي تضم كل من آمن بالمسيح من كل شعب، الأمر الواضح في قول الرسول بولس: «أورشليم الحاضرة مستعبَدَة مع بنيها، وأما أورشليم العليا، التي هي أمنا جميعاً، فهي حرَّة» (غل 4: 25، 26). ونحن ندرك أن كل مؤمن بالمسيح كان حصناً يحتله إبليس وجنوده، فأنقذه المسيح بمحبته التي حاصرته، وأعتقته من أسر الخطية وأطلقته إلى حرية مجد أولاد الله، وحل الرب بالإيمان في قلبه وسكن فيه، فصار مُلكاً للذي اشتراه بدمه، وجعل منه هيكلاً مقدساً له. صهيون اليوم هي الكنيسة، لا بالمعنى الحرفي من احتلال حربي لجبال مادية، لكن بالمعنى الروحي في امتلاك الرب للفكر والقلب والحياة، فيتحقق الوعد روحياً «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبله» (إش 2: 2، 3).

## في هذا المزمور نجد:

أولاً– المدينة المجيدة (آيات 1–3)

ثانياً– المدينة الولودة (آيات 4–6)

ثالثاً– المدينة الفرحانة (آية 7)

# أولاً _ المدينة المجيدة

## (آيات 1-3)

1 – مجيدة في أساسها: «أساسه في الجبال» (آية 1). أساس بيت الله في الجبال المقدسة، ولذا فهو ثابت ومستقر، والمدينة حوله مجيدة بسبب وجوده في وسطها «الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح» (مز 46: 5). وهي ثابتة لأن الرب يحميها ويحرسها. «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت

الجبال إلى قلب البحار» (مز 46: 1، 2). والكنيسة تبقى ثابتة مجيدة لأن أساسها المسيح صخر الدهور و«لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح» (1كو 3: 11).

ويعتبر صاحب مزمور الأسرة أن بيت الإنسان التقي مدينة صغيرة ثابتة على الصخر، لا يسقط حتى لو جاءت عليه الرياح ونزلت الأمطار، لأنه مؤسس على المسيح صخرنا. حقاً «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز 127: 1).

2 – مجيدة في قداستها: «أساسه في الجبال المقدسة» (آية 1). بيت الله مقدس لأنه يخص الله، ولأن الله القدوس يسكنه، وقد بُني على جبل ليكون منارة يرى الجميع نورها، لأنه لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل (مت 5: 14). وكل من يُقبل إليه يترك هموم العالم وظلامه ويسلك في النور والقداسة (يو 8: 12). وقد وصف يوحنا الرائي الكنيسة المقدسة، أورشليم السماوية بقوله: «رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله.. وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم» (رؤ 21: 1، 3). فما أعظم فرحنا بما أعدَّه الله القدوس لنا في حياتنا الحاضرة والمستقبلة.

3 – مجيدة في حب الرب لها: «الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب» (آية 2). ارتحل تابوت الرب مرات عديدة وأقام في أماكن كثيرة لفترات طالت وقصرت، لكن الرب اختار جبل صهيون ليكون المقرَّ الأخير لإقامته، ويكون قد أحبه أكثر من كل الأماكن التي أقام فيها بنو إسرائيل، وقال عن صهيون: «هذه راحتي لأني اشتهيتها» (مز 132: 14). كانت هناك جبال كثيرة عالية «جبل الله جبل باشان جبل أسنمة.. لماذا أيتها الجبال المسنَّمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه؟ بل الرب يسكن فيه إلى الأبد» (مز 68: 15، 16). اختار الرب جبل صهيون ليس لأنه أكثرها ارتفاعاً أو أعظمها منظراً، فهو أقل من غيره، ولكنه اختاره اختيار النعمة، كما قال لبني إسرائيل: «ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسَم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية، من يد فرعون ملك مصر» (تث 7: 7، 8). فالرب لم يختر بني إسرائيل لأنهم أكثر الشعوب عدداً، ولا لأنهم أقوى الشعوب، لأنهم كانوا المستضعفين في الأرض. «اختار الله جهّال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود» (1كو 1: 27، 28). ونحن نسجد بكل تواضع للرب الذي أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا، وسيق للموت طوعاً ليفدينا، وقال لنا: «ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم» (يو 15: 16).

اختار الرب داود من وراء الغنم لأنه وجده حسب قلبه (أع 13: 22)، واختار العذراء القديسة مريم لتكون أم المخلص، فقالت بكل تواضع: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو 1: 38). واختار بطرس الصياد وقال له: «على هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت 16: 18). واليوم يختارك ليقول لك إنه يحبك ويريد أن يخلِّصك.

4 – مجيدة في الإشادة بها: «قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله» ( آية 3). مدينة الله مجيدة في حاضرها، ومجيدة في مستقبلها. فيها أعظم فكر، ويسكنها أفاضل الناس. وقد اختارها الرب مسكناً له ليعلن فيها مجده، وليكرمها بسكناه، كما حدث عندما صلى سليمان صلاة تدشين الهيكل «أن بيت الرب امتلأ سحاباً. ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الله» (2أي 5: 13، 14). ويقول المرنم: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا، جبل قدسه. جميل الارتفاع، فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم.. كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد» (مز 48: 1، 2، 8).

وتصدق هذه الأقوال العظيمة على كل مؤمن لأنه هيكلٌ للروح القدس، بعد أن حلَّ المسيح بالإيمان في قلبه (أف 3: 17) ومنحه مجد التبني «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (1يو 3: 1)، وسيمنحه المجد العظيم في السماء «ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعدَّه الله للذين يحبونه» (1كو 2: 9). ويتطلع المؤمن الذي يسكن المسيح قلبه إلى الأمام، إلى الحياة الأفضل التي يهبها المسيح له في هذا العالم (يو 10: 10). أما الأفضل من الحاضر فهو الآتي «المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله» (عب 11: 10) والكنيسة مشهود لها بأعظم فكر وأسمى تعاليم، وأعظم من يعلنون محبة الله للناس ويُظهرون رائحة المسيح الذكية. فلنحقق فكر الرب ونجعل له السيادة الكاملة على حياتنا الحاضرة مهما كلفنا هذا.

# ثانياً _ المدينة الولودة

## (آيات 4-6)

1 – البعيدون يولدون فيها: «أذكر رهب وبابل عارفتيَّ. هوذا فلسطين وصور مع كوش. هذا وُلد هناك» (آية 4). المتكلم هنا هو الرب، الذي وحده يستطيع أن يفتح قلوب الوثنيين ليسمعوا رسالته ويقبلوها، والذي وحده يعطي ميلاداً جديداً. وهذه الآية تتطابق مع نبوَّة إشعياء: «لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب.. يكون في ذلك اليوم أن أصل يسى (المسيح) القائم رايةً للشعوب، إياه تطلب الأمم، ويكون محله مجداً» (إش 2: 3 و11: 10). فيقول المولودون من الله: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات» (1بط 1: 3، 4)، ويقولون إن الله «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه» (يع 1: 18).

شاء الله أن تولد ضمن عائلته أممٌ بعيدة عن شريعته، يبدأها بدولة «رهب». وهو اسم تنين ذُكر في أيوب 26: 12. و«رهب» في مزمورنا هي مصر (هكذا دعاها الوحي في إش 30: 7 ومز 89: 10) وذلك لكبريائها وعظمتها التي ظهرت في فرعون الذي سام موسى وشعبه سوء العذاب. وكانت مصر القوة الجنوبية العظمى بالنسبة لبني إسرائيل.. ثم شاء أن تولد «بابل» القوة الشمالية العظمى ضمن عائلته، وكذلك فلسطين وصور العدوتان المتحالفتان ضد بني إسرائيل.. ثم تولد كوش المعروفة بتجارتها وشهرتها، وهي البعيدة عن جبل صهيون. وحقق الرب يوم الخمسين نبوة إشعياء القائلة: «يبارِك رب الجنود قائلاً: مباركٌ شعبي مصر، وعمل يديَّ أشور، وميراثي إسرائيل» (إش 19: 25)، فيقول الوحي: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة. وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم: فرتيون وماديون وعيلاميون، والساكنون ما بين النهرين، واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون، يهود ودخلاء، كريتيون وعرب.. يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله» (أع 2: 1، 5، 9–11). فهذه كلها خرافٌ أُخر ليست من حظيرة بني إسرائيل، أتي الرب بها لتكون رعية واحدة وراع واحد (يو 10: 16).

2 – محل الميلاد: «ولصهيون يُقال: هذا الإنسان وُلد فيها. وهى العلي يثبِّتها» (آية 5). عندما حدَّثت المرأة السامرية المسيح عن المكان الذي يجب أن يُسجَد فيه أجابها: «أنتم تسجدون لِما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لِما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود» (يو 4: 22). وقصد المسيح بقوله هذا أنه المخلِّص «وليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع 4: 12)، وأن مكان الخلاص هو حيثُ يوجد المسيح الذي قال: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20).. قال لي أحد الذين عمَّدتُهم: «أليس غريباً أن الإنسان لا يقدر أن يحدد موعد أو مكان ميلاده الجسدي، ولكنه يستطيع أن يختار موعد ومكان ميلاده الروحي؟». «وأما كل الذين قبلوه (المسيح) فقد أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين وُلدوا ليس من دمٍ (أي بتناسل طبيعي)، ولا من مشيئة جسدٍ (أي بمجهود إنساني)، ولا من مشيئة رجلٍ (أي بالاتكال على إنسان آخر)، بل من الله» (يو 1: 12، 13). إن كل من يسلِّم حياته للرب يصير من مواليد صهيون الروحية، ويحمل الجنسية السماوية، ويُقال له: «أنتم جنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله» (1بط 2: 9، 10).

3 – المولودون من الله: «الرب يَعُدُّ في كتابة الشعوب أن هذا وُلد هناك» (آية 6). تجهِّز الشعوب سجلات تدوِّن فيها أسماء مواليدها وتاريخ ومكان كل مولود ونسبه ولقبه. هذا من جهة الميلاد الجسدي. وأما الميلاد الروحي فله سجل أعظم وأجل من كل ما على الأرض، لأن الله هو الذي يكتب أسماء المولودين في سفر الحياة، كما قال المسيح لتلاميذه الذين فرحوا لأن الشياطين تخضع لهم باسمه: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السماوات» (لو 10: 17–20) قال أحد المؤمنين: «حين أدخل السماء سأتعجب لأني سأرى أناساً لم أكن أتوقع وجودهم، وسأتعجب أيضاً لأني لن أجد بعض من كنت أتوقع أن أجدهم. ولكن ذهولي الأكبر هو أني أنا نفسي سأكون هناك، لأن الله كتب اسمي في سفر الحياة بفضل عمل المسيح». فهل أنت متأكدٌ أن اسمك مكتوب في سفر الحياة، لأنك قبلت المسيح الفادي المخلِّص مخلِّصاً شخصياً لك؟

وهناك سفر محزن، نرجو أن تتأكد أن اسمك ليس مكتوباً فيه، هو سفر التراب، الذي قال الله عنه: «الحائدون عني في التراب يُكتبون، لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية» (إر 17: 13). تعال للمسيح تائباً واطلب منه أن يكتب اسمك في سفر الحياة، لتدخل المجد الذي قال عنه يوحنا الرائي: «لم أرَ فيها هيكلاً لأن الرب القادر على كل شيء هو والحمَل هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والحمَل سراجها. وتمشي شعوب المخلَّصين بنورها، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها. ولن يدخلها.. إلا المكتوبين في سفر حياة الحمَل» (رؤ 21: 22–27).

# ثالثاً _ المدينة الفرحانة

## (آية 7)

«ومغنون كعازفين كل السكان فيك» (آية 7). سكان هذه المدينة المجيدة في أساسها، وقداستها، ومحبة الله لها، وإشادته الربانية بها تجعل سكانها سعداء يشعرون بفضل الله عليهم، ويعبِّرون عن هذا الشعور بالترتيل والهتاف والعزف. وكل من ينتمي إلى هذه المدينة وُلد من الله، وكُتب اسمه في سفر الحياة. فأي فرح يفوق هذا الفرح الذي يجعل صاحبه يرتل بمصاحبة الموسيقى! وحتى إن اجتازت هذه المدينة في ضيق، فإنها تعرف أن «خفَّة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقل مجد أبدياً» (2كو 4: 17)، وأن «آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رو 8: 18)، وتدرك أن الضيق لن يطول، لأن المسيح قال: «كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق. لكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم» (يو 16: 33). وهذا ما اختبره بولس وسيلا المقيَّدان في سجن فيلبي، ومع ذلك كانا يصليان ويسبحان الله بصوت مرتفع سمعه كل المسجونين (أع 16: 25). ما أجمل أن نعلم أن الرب يمنح أتقياءه في كل الظروف ثمر الروح الذي هو فرح وسلام «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي. الله في وسطها فلن تتزعزع».

إن كنت تمر بظروف صعبة في وطنك الأرضي، ندعوك أن تتطلع بفرح إلى وطنك السماوي الذي تنتمي إليه، والذي ستصل إليه بنعمةٍ من الله، فيفرح قلبك ولا ينزع أحد فرحك منك «سيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت» (رؤ 21: 4). وفي أورشليم الجديدة سيعزف جميع السكان بلا استثناء ويرنمون «ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخوراً هي صلوات القديسين، وهم يرنمون ترنيمة جديدة» (رؤ 5: 8، 9). إذاً «سبحوا الرب لأن الترنم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التسبيح لائق» (مز 147: 1).

## اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ. لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْعُودِ لِلْغِنَاءِ. قَصِيدَةٌ لِهَيْمَانَ الأَزْرَاحِيِّ

1 يَا رَبُّ إِلَهَ خَلاَصِي، بِالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ صَرَخْتُ أَمَامَكَ، 2فَلْتَأْتِ قُدَّامَكَ صَلاَتِي. أَمِلْ أُذُنَكَ إِلَى صُرَاخِي، 3لأَنَّهُ قَدْ شَبِعَتْ مِنَ الْمَصَائِبِ نَفْسِي، وَحَيَاتِي إِلَى الْهَاوِيَةِ دَنَتْ. 4حُسِبْتُ مِثْلَ الْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْجُبِّ. صِرْتُ كَرَجُلٍ لاَ قُوَّةَ لَهُ. 5بَيْنَ الأَمْوَاتِ فِرَاشِي، مِثْلُ الْقَتْلَى الْمُضْطَجِعِينَ فِي الْقَبْرِ الَّذِينَ لاَ تَذْكُرُهُمْ بَعْدُ، وَهُمْ مِنْ يَدِكَ انْقَطَعُوا. 6وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ فِي أَعْمَاقٍ. 7عَلَيَّ اسْتَقَرَّ غَضَبُكَ، وَبِكُلِّ تَيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتَنِي. سِلاَهْ. 8أَبْعَدْتَ عَنِّي مَعَارِفِي. جَعَلْتَنِي رِجْساً لَهُمْ. أُغْلِقَ عَلَيَّ فَمَا أَخْرُجُ. 9عَيْنِي ذَابَتْ مِنَ الذُّلِّ. دَعَوْتُكَ يَا رَبُّ كُلَّ يَوْمٍ. بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ.

10أَفَلَعَلَّكَ لِلأَمْوَاتِ تَصْنَعُ عَجَائِبَ، أَمِ الأَخِيلَةُ تَقُومُ تُمَجِّدُكَ؟ سِلاَهْ. 11هَلْ يُحَدَّثُ فِي الْقَبْرِ بِرَحْمَتِكَ، أَوْ بِحَقِّكَ فِي الْهَلاَكِ؟ 12هَلْ تُعْرَفُ فِي الظُّلْمَةِ عَجَائِبُكَ، وَبِرُّكَ فِي أَرْضِ النِّسْيَانِ؟

13أَمَّا أَنَا فَإِلَيْكَ يَا رَبُّ صَرَخْتُ، وَفِي الْغَدَاةِ صَلاَتِي تَتَقَدَّمُكَ. 14لِمَاذَا يَا رَبُّ تَرْفُضُ نَفْسِي؟ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟ 15أَنَا مِسْكِينٌ وَمُسَلَّمُ الرُّوحِ مُنْذُ صِبَايَ. احْتَمَلْتُ أَهْوَالَكَ. تَحَيَّرْتُ. 16عَلَيَّ عَبَرَ سَخَطُكَ. أَهْوَالُكَ أَهْلَكَتْنِي. 17أَحَاطَتْ بِي كَالْمِيَاهِ الْيَوْمَ كُلَّهُ. اكْتَنَفَتْنِي مَعاً. 18أَبْعَدْتَ عَنِّي مُحِبّاً وَصَاحِباً. مَعَارِفِي فِي الظُّلْمَةِ.

# أُغلِق عليَّ فما أخرج

يتفرَّد هذا المزمور بأنه أكثر المزامير حزناً، فهو صرخة تقي محبَط يائس يجوز آلاماً قاتلة، وليس عنده بارقة أمل. كل المزامير تبدأ بمشكلة يجد لها صاحبها في نهايتها حلاً يشكر الله عليه. أما هذا المزمور فيبدأ بصراخ الألم، وينتهي بكلمة «الظلمة». لهذا اختارته الكنيسة مع مز 22 ليكونا مزموري يوم الجمعة العظيمة، يوم جمعة الآلام.

يبدو أن المرنم أُصيب في مطلع حياته بمرض قاسٍ لا أمل في شفائه، لأنه يقول: «أنا مسكين ومسلَّم الروح منذ صباي. احتملت أهوالك. تحيَّرت» (آية 15). الأغلب أنه أُصيب بمرض البرص، فصار «الميت الحي» فحُرم من الصحة، ومن العلاقات الاجتماعية، ومن الممارسات الدينية في الهيكل، لا يجد صُحبةً إلا صحبة المرضى أمثاله، فبقي معزولاً في هاوية الجب السفلى.

هناك أوجه شبَه بين هذا المزمور وسفر أيوب المليء برثاء الذات، فيقول أيوب: «لِمَ يُعطى لشقيٍّ نور، وحياةٌ لمُرّي النفس، الذين ينتظرون الموت وليس هو، ويحفرون عليه أكثر من الكنوز؟» (أي 3: 20). كما أنه يشبه سفري إرميا ومراثي إرميا الحزينين برثاء شعبٍ لا شفاء له، فيقول إرميا: «توجعني جدران قلبي. يئنُّ فيَّ قلبي» (إر 4: 19). قال البعض إنه ربما كان أيوب هو الكاتب الأصلي لهذا المزمور، ثم أدخل هيمان الأزراحي عليه إضافات أو تعديلات ليناسب العبادة الجمهورية! ومهما كان اسم الكاتب، فإنه بالرغم من الألم الكبير الذي عاش فيه، بدون أمل في نجاة منه، كان صاحب علاقة قوية بالرب، فرفع قلبه إلى الله مصلّياً: «يا رب إله خلاصي، بالنهار والليل صرخت أمامك.. دعوتك يا رب كل يوم. بسطت إليك يديَّ.. أما أنا فإليك يا رب صرخت، وفي الغداة صلاتي تتقدمك» (آيات 1، 9، 13). فهو لم يترك إلهه أبداً بالرغم من ضياع أمله في الشفاء!

قديماً اشتكى إبليس على أيوب قائلاً: «هل مجاناً يتقي أيوب الله؟» (أي 1: 9) ولم تكن تقوى أيوب لأسباب نفعية، بل كانت حباً في الله. وصاحب مزمورنا يقدم لنا نموذج إنسان «يتقي الله مجاناً». وما أبعد الفرق بين كلمات المرنم هنا وكلمات آساف: «حقاً قد زكيتُ قلبي باطلاً» (مز 37: 13). فالمرنم هنا استمر مصلياً رغم صعوبة حالته، ورغم أنه لم يحصل على استجابة. وكم نشكر الله من أجل الذين يحبون الرب لشخصه، لا لعطاياه، والذين يسلِّمون نفوسهم له حتى لو لم ينالوا ما طلبوه، والذين يتمسكون به ولا يتذمرون عليه، ويقولون: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدَّةٌ، أم ضيق، أم اضطهاد، أم جوع، أم عري، أم خطر أم سيف؟.. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 35، 37).

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – استغاثة وسط الألم (آيات 1–9)

ثانياً – أسئلة بلا إجابة (آيات 10–12)

ثالثاً – صلاة بلا استجابة (آيات 13–18)

# أولاً _ استغاثة وسط الألم
## (آيات 1-9)

1 – طلبة طال انتظار تحقيقها: «يا رب إله خلاصي، بالنهار والليل صرخت أمامك. فلتأتِ قدامك صلاتي. أمِل أذنك إلى صراخي» (آيتا 1، 2).

(أ) **طلبة من إله الخلاص**: «يا رب، إله خلاصي». كان المرنم يعيش في ظلام الألم، ولكنه كان واثقاً من صدق اختبار داود: «الرب نوري وخلاصي» (مز 27: 1). ولهذا تشجع وصلى إلى «الرب» صاحب السلطان، وإلى «إله الخلاص» والنجدة والإنقاذ. لقد رأى وسمع عن خلاص الرب لآخرين، وهو يصرخ وينتظر لأنه واثق أن الرب يقدر أن يخلِّص، ويحب أن يخلِّص.

(ب) **طلبة مستمرة**: «بالنهار والليل صرختُ أمامك». لعل المرض الذي أصابه جعله قليل النوم بسبب الألم، فأخذ يصلي نهاره وليله، يضم صوته مع صاحب القول: «إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدوَّ لي» (مز 22: 2)، ويذكر صرخة بني قورح: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعدُ أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز 42: 5).

(ج) **طلبة ممزوجة بصراخ الألم**: «صرخت أمامك». هناك صلاة الشكر، وصلاة التضرع، وصلاة الطلب. وهنا نسمع صلاة الصارخ إلى الله، لأن ألمه يفوق الوصف.

(د) **طلبة فيها رجاء**: «فلتأتِ قدامك صلاتي. أمِل أذنك إلى صراخي» (آية 2). مع أن انتظار تحقيق الطلبة طال، إلا أن المرنم يتضرع إلى ربه وإله خلاصه راجياً الاستجابة «اجعل أنت دموعي في زقِّك. أما هي في سفرك؟» (مز 56: 8).

2 – سوء حال المرنم: (آيات 3–5).

«لأنه قد شبعت من المصائب نفسي، وحياتي إلى الهاوية دنت. حُسبتُ مثل المنحدرين إلى الجب. صرتُ كرجلٍ لا قوة له. بين الأموات فراشي، مثل القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا» (آيات 3–5). منذ أن وعت ذاكرة المرنم وهو في مصائب مستمرة لا تحتمل المزيد، أدنته من هاوية القبر. وكان المحيطون به يحسبونه من المائتين، وعجز هو عن مساعدة نفسه بعد أن صار شبه ميت لا عافية فيه ولا قدرة على الحركة. ولأنه خسر معركته مع المرض صار مثل القتلى الذين سقطوا في أرض المعركة ودُفنوا في قبر جماعي لا يميِّزهم أحد. واعتبر نفسه منقطعاً من يد الله، فلم تعد لتلك اليد القادرة المخلِّصة المُعينة الشافية صلة به. لقد كان مثل مريض بِركة بيت حسدا الذي قضى ثمانٍ وثلاثين سنة ليس له إنسان يعتني به (يو 5).

3 – غضب الله على المرنم: (آيات 6–9).

(أ) **أوصله إلى حافة القبر**: «وضعتني في الجب الأسفل، في ظلمات، في أعماق» (آية 6). تعامل الله معه باعتبار أنه قد مات فوضعه في الجب الأسفل، كما قال صاحب المراثي: «أسكنني في ظلمات كموتى القِدم.. دعوتُ باسمك يا رب من الجب الأسفل» (مرا 3: 6، 55)، وكما قال أيوب: «كُفَّ عني فأتبلَّج قليلاً قبل أن أذهب ولا أعود. إلى أرض ظلمة وظل الموت، أرض ظلام مثل دُجى ظل الموت» (أي 10: 20، 21).

(ب) **غضب عليه**: «عليَّ استقرَّ غضبك، وبكل تياراتك ذللتني» (آية 7). كأن مصائب المرنم جاءت عليه متلاحقة لا تتوقَّف مثل موجة بعد موجة، كما قال المرنم: «يا إلهي، نفسي منحنية فيَّ.. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ» (مز 42: 6، 7). وكما قال يونان في جوف الحوت: «جازت فوقي جميع تياراتك ولججك» (يون 2: 3).

(ج) **أبعد عنه أصدقاءه**: «أبعدت عني معارفي. جعلتني رجساً لهم. أُغلِق عليَّ فما أخرج» (آية 8). وذلك غالباً بسبب مرضه بالبرص. ويعزو المرنم ما وصل إليه من ابتعاد معارفه عنه إلى الله، وهذا ما قاله أيوب: «قد أبعد عني إخوتي، ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني، والذين عرفوني نسوني.. كرهني كل رجالي، والذين أحببتهم انقلبوا عليَّ» (أي 19: 13، 14، 19). وما أقسى الشعور بعجز الشفاء من المرض، وكآبة الوحدة، وقهر الحاجة إلى التعاطف والمودَّة!

(د) **ضيَّع أمله**: «عيني ذابت من الذل. دعوتك يا رب كل يوم. بسطت إليك يديَّ» (آية 9). كما قال أيوب: «كلَّت عيني من الحزن، وأعضائي كلها كالظل» (أي 17: 7) وبالرغم من أنه كان يدعو الرب كل يوم، ويبسط إليه يدي المحتاج، لم يسمع له، ولا أجاب ملتمسه.

# ثانياً _ أسئلة بلا إجابة
## (آيات 10-12)

بعد أن صدرت عن المرنم المتألم صرخة الاستغاثة، جعل يتساءل. وكما أن استغاثته لم تلقَ استجابة فإن أسئلته أيضاً لم تلقَ إجابة! ولم يكن لدى أهل العهد القديم فكرة متكاملة عن الحياة بعد الموت. صحيحٌ أن أيوب قال: «أما أنا فقد علمت أن وليي حي، والآخِر على الأرض يقوم. وبعد أن يُفنى جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله» (أي 19: 25، 26). إلا أن المرنم قال: «لأنه ليس في الموت ذكرك. في الهاوية، من يحمدك؟» (مز 6: 5)، وقال: «ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكوت. أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر. هللويا» (مز 115: 17، 18). وصلى الملك حزقيا وهو على سرير الموت طالباً الشفاء وقال: «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك. الحي الحي هو يحمدك كما أنا اليوم. الآب يُعرِّف البنين حقك» (إش 38: 18، 19).

ومن هذه الخلفية يثير المرنم ثلاثة أسئلة:

1 – هل يُجري الله معجزات للموتى؟: «أفلعلك للأموات تصنع عجائب، أم الأخيلة تقوم تمجدك؟» (آية 10). الرب هو صانع العجائب والمعجزات، والمؤمنون يمجدونه ويشكرونه عليها. ويتساءل المرنم الذي يطلب الشفاء ولا ينالـه إن كان الرب يُجري عجائب مع الأموات بعد أن فات أوان إجراء المعجزة؟ كما أنه يتساءل إن كانت الأخيلة تقدر أن تقوم لترفع للرب تسبيحاً وتمجيداً. والأخيلة هي الأطياف، والطيف هو روح الميت.. ولم يجد المرنم على سؤاله الأول جواباً.. على أننا في العهد الجديد نملك الجواب، فقد أجرى المسيح معجزة إقامة ابن أرملة نايين (لو 7) وابنة يايرس (مر 5) ولعازر (يو 11). وفي اليوم الأخير سيأتي المسيح ويقيم الأموات (1تس 4: 16).

2 – هل يُحدِّث الموتى برحمة الله؟: «هل يُحدَّث في القبر برحمتك، أو بحقك في الهلاك؟» (آية 11). يقول المرنم إنه بموته سينقص عدد المؤمنين المرنمين المخبرين بفضل الرب واحد. أما لو نال الشفاء وعاش على الأرض فسيكون هناك مؤمن، يصنع معه معجزة، فيحدِّث برحمة ربه ويخبر بكم صنع الرب به ورحمه.. ولم يجد المرنم على سؤاله الثاني جواباً.

3 – هل يعرف ساكنو القبور معجزات الله؟: «هل تُعرف في الظلمة عجائبك، وبرُّك في أرض النسيان؟» (آية 12). يقول المرنم إن موته سيُدخله القبر، أرض الظلام حيث يُنسى الإنسان. فهل يُجري الله صانع المعجزات عجائب في ظلمة القبر، وهل يدرك الميت برَّه وصلاحه وقد نُسي أمره؟ يريد المرنم أن يذكره الرب أثناء حياته على الأرض، ويصنع معه معجزة فيمجد إلهه ويسبحه.. ولم يجد المرنم على سؤاله الثالث جواباً.

ونحن اليوم في نور العهد الجديد بعد قيامة المسيح، نشكر الله أن المسيح أبطل الموت، وأنار لنا الحياة، وأنار لنا الخلود بواسطة الإنجيل (2تي 1: 10). لقد جاز المسيح وادي ظل الموت قبلنا، وأباد بموته إبليس الذي له سلطان الموت، وحرَّر الذين كان الموت يخيفهم من عبودية خوفهم (عب 2: 14، 15). لقد أضاء المسيح مصباحاً لينير لنا الجانب الآخر من الحياة، بعد أن نترك هذا العالم، فنرى ما ينتظر المؤمنين من مجد.

# ثالثاً _ صلاة بلا استجابة
## (آيات 13-18)

1 – شعور المرنم بالرفض: «أما أنا فإليك يا رب صرخت، وفي الغداة صلاتي تتقدَّمك. لماذا يا رب ترفض نفسي؟ لماذا تحجب وجهك عني؟» (آيتا 13، 14). رأى المرنم نفسه في عِداد الأموات، لأن كل صلواته الماضية لم تلقَ استجابة. ولكنه ظل يرفع صلاته لله لأن الإيمان والرجاء كانا يعمِّران قلبه، فلم يتوقف عن الصلاة حتى النَّفس الأخير. كان يبدأ كل يوم بالصلاة، وكأنه يقول: «يا رب، بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجِّه صلاتي نحوك وأنتظر» (مز 5: 3). في كل يوم وكل وقت كان يُصعِد بخور صلاته أمام ربِّه، ولم يمنعه شيء من الحديث مع الله الذي يحبه.

فهل رفض الرب نفس المرنم؟ وهل حجب وجهه عنه؟.. الحقيقة هي أن الله لا يرفض المؤمن التقي، ولا يحجب وجهه عنه، لكنه قد يعطيه ما يطلب. وقد يعطيه عطية أفضل مما طلب، كما أعطى بولس نعمة ليحتمل شوكة الجسد ولم يشفِه منها (2كو 12: 9). وقد يرفض أن يعطيه ما طلب لأنه ليس الأفضل له، كما رفض صلاة إيليا في وقت يأسٍ أن يأخذ حياته منه (1مل 19: 4)..

ونحن في نور العهد الجديد نقول في كل حال: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟.. في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالـــذي أحبنـــا» (رو 8: 35، 37).

2 – شدَّة حاجة المرنم: «أنا مسكين ومسلَّم الروح منذ صباي. احتملتُ أهوالك. تحيرتُ. عليَّ عبر سخطك. أهوالك أهلكتنـــي. أحاطت بي كالمياه اليوم كله. اكتنفتني معاً» (آيات 15–17). يشارك المرنم هنا أيوب في قوله: «سهام القدير فيَّ، وحُمَتها شـــاربةٌ روحي. أهوال الله مصطفَّة ضدي!» (أي 6: 4). كما يشارك إرميا قوله: «قرضوا في الجب حياتي، وألقوا عليَّ حجارة» (مرا 3: 53). إنه يغرق تحت طوفان الألم واليأس!

3 – وحدة المرنم: «أبعدت عني مُحبّاً وصاحباً. معارفي في الظلمة» (آية 18). لم يعُد أصحابه القدماء يزورونه، ومات بعض معارفه، وكأنه يقول مع أيوب: «قلت للقبر: أنت أبي، وللدود: أنت أمي وأختي. فأين إذاً آمالي؟ آمالي من يعاينها؟ تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ ترتاح معاً في التراب» (أي 17: 14–16).

# رابعاً ـ ونحن نسأل:

وفي نهاية تأملنا في هذا المزمور نثير ثلاثة أسئلة:

1 – هل مات المرنم قبل أن يكتب نهاية مزموره؟ في بيت الآب منازل كثيرة، وقد مضى المسيح ليجهِّز لكل مؤمن مكانـــاً. وعندما يكمل إعداد بيت المؤمن يأتي المسيح ليأخذه إليه، حتى حيث يكون المسيح يكون المؤمن أيضاً. وقد يكون بيت هذا المرنم قد كمل قبل أن ينتهي من وضع نهاية مفرحة لمزموره، فنضع نحن بالإيمان هذه النهاية المفرحة، ونقول إنه «مات وحملته الملائكـــة إلى حضن إبراهيم.. والآن هو يتعزى» (لو 16: 22، 25).

2 – هل بدأ المرنم كتابة مزموره في وقت الأزمة ولم يكمله؟ هل انتهت مشكلته فعبَّر عنها شِعراً ولم يسجل لنا الحـــل؟ لا يمكن أن تكون المشكلة قد بقيت معلَّقة. أحياناً نشكو وعندما تُحل مشكلتنا لا نتحدث عن الحل، ولا نرفع شكرنا لله. وكان المسيح قد سأل: «أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟» (لو 17: 17). ونتعلم من مزمورنا أن لنا الحق أن نعبِّر عن شكوانا، ومن واجبنـــا أن نعبر أيضاً عن شكرنا.

3 - هل يمكن أن تكون الآية الأولى من المزمور التالي نهاية لمزمورنا هذا؟ يبدأ مزمور 89 بالقول: «بمـــراحم الـــرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» فتكون شكوى مزمور 88 قد أُجيبت، وأخذ المرنم يغني بمراحم الرب. «لأنـــي قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنى. السماوات تثبِّت فيها حقك. قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي» (مـــز 89: 2، 3). لقـــد وعد أن يفعل، وسيفعل.

## اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالثَّمَانُونَ

قَصِيدَةٌ لأَيْثَانَ الأَزْرَاحِيِّ

1 بِمَرَاحِمِ الرَّبِّ أُغَنِّي إِلَى الدَّهْرِ. لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أُخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِفَمِي، 2لأَنِّي قُلْتُ: «إِنَّ الرَّحْمَةَ إِلَى الدَّهْرِ تُبْنَى. السَّمَاوَاتُ تُثْبِتُ فِيهَا حَقَّكَ». 3«قَطَعْتُ عَهْداً مَعَ مُخْتَارِي. حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي. 4إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيَّكَ». سِلاَهْ. 5وَالسَّمَاوَاتُ تَحْمَدُ عَجَائِبَكَ يَا رَبُّ، وَحَقَّكَ أَيْضاً فِي جَمَاعَةِ الْقِدِّيسِينَ. 6لأَنَّهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ! مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللهِ؟ 7إِلَهٌ مَهُوبٌ جِدّاً فِي مُؤَامَرَةِ الْقِدِّيسِينَ، وَمَخُوفٌ عِنْدَ جَمِيعِ الَّذِينَ حَوْلَهُ.

8يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ، مَنْ مِثْلُكَ قَوِيٌّ، رَبٌّ، وَحَقُّكَ مِنْ حَوْلِكَ؟ 9أَنْتَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كِبْرِيَاءِ الْبَحْرِ. عِنْدَ ارْتِفَاعِ لُجَجِهِ أَنْتَ تُسَكِّنُهَا. 10أَنْتَ سَحَقْتَ رَهَبَ مِثْلَ الْقَتِيلِ. بِذِرَاعِ قُوَّتِكَ بَدَّدْتَ أَعْدَاءَكَ. 11لَكَ السَّمَاوَاتُ. لَكَ أَيْضاً الأَرْضُ. الْمَسْكُونَةُ وَمِلْؤُهَا أَنْتَ أَسَّسْتَهُمَا. 12الشِّمَالُ وَالْجَنُوبُ أَنْتَ خَلَقْتَهُمَا. تَابُورُ وَحَرْمُونُ بِاسْمِكَ يَهْتِفَانِ. 13لَكَ ذِرَاعٌ الْقُدْرَةِ. قَوِيَّةٌ يَدُكَ. مُرْتَفِعَةٌ يَمِينُكَ. 14الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ. 15طُوبَى لِلشَّعْبِ الْعَارِفِينَ الْهُتَافَ. يَا رَبُّ، بِنُورِ وَجْهِكَ يَسْلُكُونَ. 16بِاسْمِكَ يَبْتَهِجُونَ الْيَوْمَ كُلَّهُ، وَبِعَدْلِكَ يَرْتَفِعُونَ. 17لأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا. 18لأَنَّ الرَّبَّ مِجَنُّنَا، وَقُدُّوسَ إِسْرَائِيلَ مَلِكُنَا.

19حِينَئِذٍ كَلَّمْتَ بِرُؤْيَا تَقِيَّكَ، وَقُلْتَ: «جَعَلْتُ عَوْناً عَلَى قَوِيٍّ. رَفَعْتُ مُخْتَاراً مِنْ بَيْنِ الشَّعْبِ. 20وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ. 21الَّذِي تَثْبُتُ يَدِي مَعَهُ. أَيْضاً ذِرَاعِي تُشَدِّدُهُ. 22لاَ يُرْغِمُهُ عَدُوٌّ، وَابْنُ الإِثْمِ لاَ يُذَلِّلُهُ. 23وَأَسْحَقُ أَعْدَاءَهُ أَمَامَ وَجْهِهِ، وَأَضْرِبُ مُبْغِضِيهِ. 24أَمَّا أَمَانَتِي وَرَحْمَتِي فَمَعَهُ، وَبِاسْمِي يَنْتَصِبُ قَرْنُهُ. 25وَأَجْعَلُ عَلَى الْبَحْرِ يَدَهُ، وَعَلَى الأَنْهَارِ يَمِينَهُ. 26هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ. إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. 27أَنَا أَيْضاً أَجْعَلُهُ بِكْراً أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. 28إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي، وَعَهْدِي يُثَبَّتُ لَهُ. 29وَأَجْعَلُ إِلَى الأَبَدِ نَسْلَهُ، وَكُرْسِيَّهُ مِثْلَ أَيَّامِ السَّمَاوَاتِ. 30إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي، 31إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ، 32أُفْتَقِدُ بِعَصَا مَعْصِيَتَهُمْ وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ. 33أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي. 34لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. 35مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ. 36نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. 37مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ». سِلاَهْ.

38لَكِنَّكَ رَفَضْتَ وَرَذَلْتَ. غَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ. 39نَقَضْتَ عَهْدَ عَبْدِكَ. نَجَّسْتَ تَاجَهُ فِي التُّرَابِ. 40هَدَمْتَ كُلَّ جُدْرَانِهِ. جَعَلْتَ حُصُونَهُ خَرَاباً. 41أَفْسَدَهُ كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ. صَارَ عَاراً عِنْدَ جِيرَانِهِ. 42رَفَعْتَ يَمِينَ مُضَايِقِيهِ. فَرَّحْتَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ. 43أَيْضاً رَدَدْتَ حَدَّ سَيْفِهِ، وَلَمْ تَنْصُرْهُ فِي الْقِتَالِ. 44أَبْطَلْتَ بَهَاءَهُ، وَأَلْقَيْتَ كُرْسِيَّهُ إِلَى الأَرْضِ. 45قَصَّرْتَ أَيَّامَ شَبَابِهِ. غَطَّيْتَهُ بِالْخِزْيِ. سِلاَهْ.

46حَتَّى مَتَى يَا رَبُّ تَخْتَبِئُ كُلَّ الاِخْتِبَاءِ؟ حَتَّى مَتَى يَتَّقِدُ كَالنَّارِ غَضَبُكَ؟ 47اذْكُرْ كَيْفَ أَنَا زَائِلٌ. إِلَى أَيِّ بَاطِلٍ خَلَقْتَ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ؟ 48أَيُّ إِنْسَانٍ يَحْيَا وَلاَ يَرَى الْمَوْتَ؟ أَيُّ يُنَجِّي نَفْسَهُ مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ؟ سِلاَهْ. 49أَيْنَ مَرَاحِمُكَ الأُولُ يَا رَبُّ الَّتِي حَلَفْتَ بِهَا لِدَاوُدَ بِأَمَانَتِكَ؟ 50اذْكُرْ يَا رَبُّ عَارَ عَبِيدِكَ الَّذِي أَحْتَمِلُهُ فِي حِضْنِي مِنْ كَثْرَةِ الأُمَمِ كُلِّهَا، 51الَّذِي بِهِ عَيَّرَ أَعْدَاؤُكَ يَا رَبُّ، الَّذِينَ عَيَّرُوا آثَارَ مَسِيحِكَ. 52مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَى الدَّهْرِ. آمِينَ فَآمِينَ.

# مراحم الرب

يعبِّر هذا المزمور عن الأزمة النفسية التي اجتازها مؤمنٌ تقي أثناء سبيه في بابل، لأنه كان متأكداً من رحمة الله، وواثقاً في أمانته لوعوده أنه سيسحق أعداء داود، ويجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض (آيتا 23، 27). ولكنه في الوقت نفسه كان يرى الملك يهوياكين، حفيد داود، مسبياً وقد زال تاجه، وأُخربت مملكته، فيقول: «لكنك رفضت ورذلت .. نقضت عهد عبدك.

نجَّستَ تاجه في التراب» (آيتا 38، 39). فكيف تتم المصالحة بين صفات الله من رحمة وأمانة لوعوده الكثيرة لداود ونسله، من ناحية، ومن الناحية الأخرى الأمر الواقع الحزين المؤلم من سبي شعب داود وهوان نسله؟؟

ولكن حيرة المرنم تنتهي بأمرين، أولهما: أن الوعد الإلهي لداود كان مشروطاً بطاعة داود ونسله، فلما سقط نسله في العصيان أرسل إليهم الأنبياء يحذرونهم، ولكنهم استمروا في عصيانهم، فأوقع بهم عقاب السبي، ليؤدبهم، لكنه لن يرفضهم. والثاني: أن وعود الله ومراحمه ستتحقق بكمالها في المسيح ابن داود. فالبكر الأعلى من ملوك الأرض هو المسيح الملك، صاحب المملكة الروحية، وقد تمَّ تحقيق الوعود لداود في المسيح الذي تنبأ عنه النبي إشعياء: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه.. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» (إش 9: 6، 7). وهي مملكة روحية لا سياسية، كما قال المسيح لبيلاطس: «مملكتي ليست من هذا العالم.. ليست مملكتي من هنا» (يو 18: 36).

قال أحد المفسرين إن مزمور 89 يتكون من 52 آية، وأسابيع السنة 52 أسبوعاً، فيها نجد الشتاء والصيف والربيع والخريف. وفي حياة المؤمن ارتفاعات وانخفاضات، وفيها الفرح والحزن. وهذا ما نجده في هذا المزمور.. ولكن في وسط هذه كلها يجب أن يكون المؤمن متواضعاً غاية التواضع، معتمداً كل الاعتماد على النعمة الإلهية وحدها.

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يتغنى بمراحم الله (آيات 1–4)

ثانياً – المرنم يمجد الله (آيات 5–37)

ثالثاً – المرنم يشكو إلى الله (آيات 38–51)

رابعاً – تمجيد ختامي (آية 52)

# أولاً ـ المرنم يتغنى بمراحم الله
## (آيات 1-4)

1 – رحمة الله وحقه: «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي، لأني قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنى. السماوات تُثْبِت فيها حقك» (آيتا 1، 2). ورد ذكر رحمة الله في مزمورنا سبع مرات (آيات 1، 2، 14، 24، 28، 33، 49)، وورد ذكر الحق خمس مرات (آيات 1، 2، 5، 8، 14). ومراحم الله وحقه موضوعان مفرحان يبهجان قلب المرنم ويفتحان شفتيه ليرنم تسابيح الفرح والشكر. ويبدأ المرنم بالتركيز على هاتين الفكرتين ليرتفع فوق آلامه، ويطمئن وسط تساؤلاته، ويؤكد عزمه على أن يستمر يتذكر مراحم الرب ويخبر بها، لأنه واثق أن رحمة الله قائمة كبناء شاهق الارتفاع، وأن حقه ثابت في السماوات، حيث لا يقدر شيطانٌ أو بشر أن يعبث به.

2 – أمانة الله لوعوده: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي: إلى الدهر أثبِّت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك» (آيتا 3، 4). لا تتوقف أمانة الرب على أمانة الإنسان التقي، لأنها مستمدَّة من طبيعة الله نفسه. عندما أراد داود أن يبني هيكلاً للرب أرسل الرب إليه ناثان النبي يقول: «الرب يصنع لك بيتاً. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبِّت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبِّت كرسيَّ مملكته إلى الأبد.. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (2صم 17: 11، 16). وقد تحقق وعد الله كاملاً لداود في المسيح الذي جاء، حسب الجسد، من نسله.

# ثانياً ـ المرنم يمجد الله
## (آيات 5-37)

1 ـ تمجيد الله على جلاله: (آيات 5–18). يهدف المرنم من الحديث عن جلال الله إلى أمرين: أن يطلب من الله العظيم مساعدة شعبه، وأن يشجع شعبه الذي يعبد هذا الإله الجليل.

(أ) **جلال الله في ملائكته**: (آيات 5-7). يظهر جلال الله في سماواته حيث يحمد الملائكة القديسون عجائبه وحقه (آية 5). ووصَفَ المرنم الملائكة بأنهم قديسون لأنهم مخصَّصون لخدمة الله. ولكن رغم قداستهم فإنهم لا يعادلون الله ولا يساوونه في سمائه (آية 6)، كما قال أليفاز: «هوذا عبيده لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسب حماقة» (أي 4: 18). ويظهر جلال الرب من أنه «إلهٌ مهوب جداً في مؤامرة القديسين. ومخوف عند جميع الذين حوله» (آية 7). وكلمة «مؤامرة» يمكن ترجمتها «مجلس» فهناك مجلس للملائكة، وهم واقفون حول الله مستعدين لتنفيذ أوامره، فجميعهُم أرواح خادمة مرسَلة لخدمة الذين سينالون الخلاص (عب 1: 14)، قال دانيال عنهم: «إلهي أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود» (دا 6: 22). فهل رأى دانيال ذلك الملاك، وهل شعر بحفيف أجنحته؟ أم وجد الأسود تحوم حوله دون أن تؤذيه؟ أتساءل، لأننا قد لا نرى ملاكاً بعيوننا، لكننا نختبر خدمته لنا. وقد لا تشعر أجسادنا بشيء فائق الطبيعة، لكننا نتيقن في قلوبنا أن الله يجري معنا معجزات، وأن ملاكه حال حول خائفيه وينجيهم (مز 34: 7).

(ب) **جلال الله في الخليقة**: (آيات 8-14).

**(1) جلال سلطانه على البحر:** (آيتا 8، 9). ليس مثل الله المتسلط على كبرياء البحر عندما ترتفع لججه، فيأمره: «اسكت. ابكم» فيصير هدوء عظيم (مر 4: 39)!

**(2) جلال سلطانه على الأعداء:** (آية 10). سحق الله بقوته «رَهَب»، أي الإمبراطورية العظيمة مصر، فغرق جيش فرعون. وصلى إشعياء: «استيقظي. استيقظي. البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القِدم، كما في الأدوار القديمة. ألستِ أنت القاطعة رهب، الطاعنة التنين؟ ألستِ أنت هي المنشِّفة البحر، مياه الغمر العظيم، الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين؟» (إش 51: 9، 10).

**(3) جلال سلطانه على كل المسكونة:** (آيات 11-13). لله السماوات والأرض لأنه أسسهما. وله الشمال والجنوب (أي جبل غرب الأردن حيث انتصرت القاضية دبورة). وله حرمون (جبل شرق الأردن الشاهق الارتفاع)، وكلها تشهد لقوته الخالقة العظيمة وقدرته السرمدية «يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس» (مز 118: 16). إليه نلجأ، فنجده في الضيقات عوناً شديداً، لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار (مز 46: 1، 2).

**(4) جلال سلطان عدله ورحمته:** «العدل والحق قاعدة كرسيك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك» (آية 14). يظهر جلال الله الفريد من أنه العادل الجبار، كما أنه الرحيم الأمين. ولا يلتقي العدل مع الرحمة إلا في الصليب حيث استوفى العدل حقه، وأخذت الرحمة مجراها (مز 85: 10).. ولو كان الله عادلاً فقط مع البشر لأهلكهم بسبب خطاياهم ولم يرحمهم. ولو كان رحيماً فقط معهم لكان هذا على حساب عدالته. أما الصليب فقد أرانا عدالة الله التي تقتصُّ من الخاطئ، كما أرانا رحمته في يد محبته التي تمتد لتصالحنا معه. فليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه (يو 15: 13)، «لكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو 5: 8).

(ج) **جلال الله في** المؤمنين: (آيات 15-18).

**(1) يسلكون في نور وجهه:** (آيتا 15، 16). يسبح المؤمنون الرب، فيسلكون في نور وجهه، ويبتهجون باسمه، ويرتفعون بعدله. والسالكون في نور وجهه هم الذين ينالون رضاه، لأنهم يفرحون به، ويسيرون في نور كلمته قائلين: «سراجٌ لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز 119: 105)، ويسلكون في نور المسيح الذي قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو 8: 12)، ويتمتعون بعدالته التي ترفعهم.

**(2) يتمتعون بنصره:** (آيتا 17، 18). يمنح الرب شعبه قوة مجيدة، لأنه راضٍ عليهم، فينتصب قرنهم على أعدائهم. ويرمز القرن للقوة لأن الحيوان القوي يستخدم قرنه في الدفاع وفي الهجوم (تث 33: 17)، ويرمز القرن أيضاً للمجد (مرا 2: 3)، وللانتصار (1مل 22: 11). ويرمز ارتفاع القرن إلى زيادة المجد (1صم 2: 1). وينتصب قرن شعب الرب لأنه مجنُّهم. والمجن هو الترس الكبير، وهو قطعة خشبية مغطاة بالجلد الذي يغمسونه في الزيت لحمايته من التشقُّق، يمسكه الجندي بيده اليسرى ليتلقّى عليه السهام الموجَّهة ضده، فينغرس سنُّ السهم في الخشب المغطى بالجلد.. وينتصب قرن شعب الرب لأنه ملكهم، الذي يدافع عنهم، ويدبر أمورهم، ويشرِّع لهم.

2 – تمجيد الله على عهده مع داود: (آيات 19–37).

(أ) اختيار نعمة: (آيتا 19، 20). اختار الرب داود من وراء الغنم وجعله ملكاً، وكلَّف النبي صموئيل ليمسحه بدهن المسحة. وظن يسى أبو داود أن أكبر أولاده هو الجدير بالمنصب، ولكن ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب. وعندما رأى صموئيل داود أمره الرب: «قم وامسحه لأن هذا هو». فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط إخوته. وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً (1صم 16: 1–13). ولم يكن داود يتوقع شيئاً من هذا، لكن الرب أكرمه. وحدَّث الله ناثان النبي في رؤيا أن سليمان بن داود سيبني الهيكل العظيم (2صم 7: 17). فما أعظم اختيار النعمة، كما قال المسيح: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم، لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو 15: 16).

(ب) اختيار للنصر: (آيات 21–25). بفضل أمانة الرب ورحمته أعان داود وكان معه ونصره على جليات (1صم 17) «وكان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه.. فسكن في مكانه، ولا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذللونه» (2صم 5: 10، 7: 10). وحقَّق له وعده: «أجعل على البحر يده، وعلى الأنهار يمينه» (آية 25)، فامتدَّ مُلكه إلى البحر الأبيض في الغرب، والفرات في الشمال الشرقي بحسب وعد الله لإبراهيم (تك 15: 18) ولموسى (خر 23: 31)، وكان سليمان «متسلطاً على كل ما عبر النهر من تفسح إلى غزة» (1مل 4: 24).

(ج) اختيار للتبنّي: «هو يدعوني أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض» (آيتا 26، 27). وواضح أن هذا الوعد العظيم لم يتحقق إلا في المسيح ابن داود، الذي «له على ثوبه وعلى فخذه اسمٌ مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ 19: 16). والبكر هو الأعظم لأنه كان يرث ضعف إخوته، وهو كبير عائلته وقائدها، كما أنه يقوم بدور كاهن العائلة.

(د) اختيار دائم: (آيتا 28، 29). حفظ الله أمانته وعهده لداود إلى الدهر، وأدام نسله، وثبَّت عرشه، كما وعده في الرؤيا التي رآها ناثان النبي: «أنا أثبِّت كرسيَّ مملكته إلى الأبد.. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (2صم 7: 13، 16). ولكن هذا الوعد تحقق بكماله في المسيح، الذي صُلب ومات ودُفن، ولكنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب شفيعاً. وسيعود إلى عالمنا ليدين الأحياء والأموات.

(هـ) اختيار مشروط بتأديب المخطئ: (آيات 30–34). كان وعد الله لداود مشروطاً بطاعة نسله. فإن لم يكونوا أمناء يعاقبهم ويؤدبهم كما يؤدب الأب أولاده الذين يحبهم. وهذا ما قيل لداود في رؤيا ناثان النبي: «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. إن تعوَّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم» (2صم 7: 14). «ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدِّبين، وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا؟» (عب 12: 9). فعقاب المخطئ جزء من العهد. لكن الله يبقى أميناً، لا يتخلى عن وعوده. «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً. لا يقدر أن ينكر نفسه» (2تي 2: 13).

(و) اختيار بوعد دائم: (آيات 35–37). حلف الله لداود بقُدسه، أي بكل كيانه المقدس، فلا يمكن أن يسقط الوعد. سيبقى داود ونسله ملوكاً طالما بقيت الشمس وظلَّ القمر. «هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً» (إر 31: 35). «والشاهد في السماء أمين». الذي هو الله في سمائه، كما قال أيوب: «هوذا في السماوات شهيدي، وشاهدي في الأعالي» (أي 16: 19). ووضع قوس قزح في السحاب علامة ميثاقه مع نوح ونسله أنه لن يعود يُغرِق الأرض بالطوفان (تك 9: 13).

# ثالثاً ـ المرنم يشكو إلى الله
## (آيات 38-51)

1 – شكوى: «لكنك» (آيات 38–45). ذكر المرنم الوعود الرائعة الأمينة من إله صادق رحيم، ولكن كانت عنده تساؤلات بسبب ما رآه في واقع الحياة في أيامه، وكان مختلفاً عمّا توقَّعه من تحقيق الله لمواعيده، فرفع الأمر للرب الذي منه وبه وله كل الأشياء، يشكو لأن الله العظيم لم يساعد شعبه، بل إنه غضب على مسيحه!

(أ) رفض الله الملك: (آيات 38–40). في جرأة مثل جرأة النبي حبقوق يعاتب المرنم ربَّه بأنه نقض العهد ونجَّس الحصون وأخربها (حب 1: 2، 13). لقد تنجَّس تاج الملك (2صم 1: 10) وتاج رئيس الكهنة (خر 29: 6)، والتاج رمز التخصيص للوظيفة ورمز كرامتها. ويربط المرنم بين حالة الملك وحالة البلد، فيقول: «هدمت كل جدرانه. جعلت حصونه خراباً».

(ب) شماتة أعداء الملك: (آيات 41–43). تثير شماتة الأعداء مرارة النفس المهزومة، فالعدو يرتفع والتقي ينخفض، فيهزأ العدو لأنه انتصر ويخزى التقي لأنه عجز عن حماية نفسه.

(ج) زال مجد الملك: (آيتا 44، 45). يشكو المرنم أن الله أبطل بهاء الملك لأن روعة المملكة انطفأت، وقصَّر الله أيام شبابه فانحنت قامته من الهم والذل، وأصابته الشيخوخة قبل موعدها. ولعل المرنم يشير إلى الملك يهوياكين الذي ملك في الثامنة عشرة من عمره (2مل 24: 8)، وملك مئة يوم فقط، وقضى بقية عمره في السبي.

2 – طلب: «حتى متى؟» (آيات 46–51).

(أ) طلب رحمة عاجلة: (آيات 46–48). طال انتظار المرنم للنجاة، واقتربت أيامه من نهايتها، ومع هذا فلا زال غضب الله عليه وعلى شعبه مستمراً، فيقول: «إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم؟» (آية 47). فهل لا بد أن تنتهي حياة الإنسان بالمرارة والذل؟ إنه يطلب الرحمة قبل أن يموت، وكأنه يردد: «هوذا جعلت أيامي أشباراً، وعُمري كلا شيء قدامك.. بتأديباتٍ إن أدَّبتَ الإنسان من أجل إثمه، أفنيت مثل العُثِّ مشتهاه» (مز 39: 5، 11).

(ب) طلب عودة المراحم الأولى: (آيات 49–51). في ضراعة يتساءل المرنم: «أين مراحمك الأُوَل يا رب التي حلفت بها لداود بأمانتك؟». فهل كانت المراحم لجيلٍ مضى؟ أم أنها انتهت إلى غير عودة؟.. ولا بد أن المرنم كان يذكر هوان الملك يهوياكين وهم يجرّونه في شوارع بابل ويهزأون به وبإلهه، فقال: «عيَّروا آثار مسيحك» (عدد 51). وكان هذا تساؤل القاضي جدعون: «إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائلين: ألم يُصعِدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب» (قض 6: 13).

# رابعاً ـ تمجيد ختامي
## (آية 52)

«مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين» (آية 52). في ختام الكتاب الثالث من كتب المزامير الخمسة يبارك المرنم الرب كما سبق أن فعل في خاتمة الكتاب الأول (مز 41: 13) وخاتمة الكتاب الثاني (72: 19). ويتوِّج التسبيح الأخير شكوى المرنم باستجابة الرب له، فيبارك ربَّه على صلاحه حتى لو كانت الظروف المحيطة قاتمة وسوداء. إنه كأيوب الذي بارك الرب في وقت ظلام حالك، فقال: «الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً» (أي 1: 21). سنبارك الرب حتى لو لم نفهم فكره، عالمين أن المسيح لا بد أن يسحق رأس الحية.

«بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» هي أول آية في مزمورنا، والآية الأخيرة منه تقول: «مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين». فنجيب جميعنا: «آمين، فآمين». هللويا بالشكر لله الملك الذي يملك على حياتنا.

# الجزء الرابع

**المزمور التسعون**

**إلى المزمور المئة والسادس**

## اَلْمَزْمُورُ التِّسْعُونَ

صَلاَةٌ لِمُوسَى رَجُلِ اللهِ

1 يَا رَبُّ، مَلْجَأً كُنْتَ لَنَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. 2مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ الْجِبَالُ أَوْ أَبْدَأْتَ الأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ. 3تُرْجِعُ الإِنْسَانَ إِلَى الْغُبَارِ وَتَقُولُ: «ارْجِعُوا يَا بَنِي آدَمَ». 4لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمٍ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ. 5جَرَفْتَهُمْ. كَسِنَةٍ يَكُونُونَ. بِالْغَدَاةِ كَعُشْبٍ يَزُولُ. 6بِالْغَدَاةِ يُزْهِرُ فَيَزُولُ. عِنْدَ الْمَسَاءِ يُجَزُّ فَيَيْبَسُ.

7لأَنَّنَا قَدْ فَنِينَا بِسَخَطِكَ، وَبِغَضَبِكَ ارْتَعَبْنَا. 8قَدْ جَعَلْتَ آثَامَنَا أَمَامَكَ، خَفِيَّاتِنَا فِي ضَوءِ وَجْهِكَ. 9لأَنَّ كُلَّ أَيَّامِنَا قَدِ انْقَضَتْ بِرِجْزِكَ. أَفْنَيْنَا سِنِينَا كَقَصَّةٍ. 10أَيَّامُ سِنِينَا هِيَ سَبْعُونَ سَنَةً، وَإِنْ كَانَتْ مَعَ الْقُوَّةِ فَثَمَانُونَ سَنَةً، وَأَفْخَرُهَا تَعَبٌ وَبَلِيَّةٌ، لأَنَّهَا تُقْرَضُ سَرِيعاً فَنَطِيرُ. 11مَنْ يَعْرِفُ قُوَّةَ غَضَبِكَ، وَكَخَوْفِكَ سَخَطُكَ. 12إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ.

13اِرْجِعْ يَا رَبُّ. حَتَّى مَتَى؟ وَتَرَأَّفْ عَلَى عَبِيدِكَ. 14أَشْبِعْنَا بِالْغَدَاةِ مِنْ رَحْمَتِكَ فَنَبْتَهِجَ وَنَفْرَحَ كُلَّ أَيَّامِنَا. 15فَرِّحْنَا كَالأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا أَذْلَلْتَنَا، كَالسِّنِينِ الَّتِي رَأَيْنَا فِيهَا شَرّاً. 16لِيَظْهَرْ فِعْلُكَ لِعَبِيدِكَ، وَجَلاَلُكَ لِبَنِيهِمْ. 17وَلْتَكُنْ نِعْمَةُ الرَّبِّ إِلَهِنَا عَلَيْنَا وَعَمَلَ أَيْدِينَا ثَبِّتْ عَلَيْنَا، وَعَمَلَ أَيْدِينَا ثَبِّتْهُ.

# صلاة لموسى رجل الله

هذا المزمور هو الوحيد الذي كتبه موسى، والأغلب أنه أقدم المزامير التي كُتبت، ويشبه في أسلوبه بركة موسى التي جاءت في التثنية 33. وما أجمل لقب موسى في أول المزمور بأنه «رجل الله». وقد جاء هذا اللقب في مطلع بركة موسى للشعب (تث 33: 1)، وأطلقه كالب بن يفنة على موسى وهو يحدِّث يشوع بن نون (يش 14: 6) وورد وصفاً لموسى كاتب التوراة بإلهام الروح القدس (عز 3: 2). ولُقِّب موسى بأنه «رجل الله» لأن الله اختاره عندما دعاه ليُخرج شعبه من مصر، ثم استخدمه فأخرجهم منها، وكان قائدهم في البرية أربعين سنة حتى حدود أرض الموعد. وسمي «رجل الله» لأنه أكرم الله وأطاعه. نعم كانت هناك أخطاء في حياة موسى، لكن أي إنسان لا يخطئ؟.. المسيح وحده هو الذي لم يخطئ أبداً.

أحب موسى الله من كل قلبه وقرر أن يطيعه وأن يخدمه، ففضل «أن يُذلَّ مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب 11: 25، 26). اعتبر موسى بقاءه في القصر الملكي المصري خطية، لا لأنه خطية في ذاته، بل لأنه الأولوية الثانية في حياته. ووضع موسى أولويته الأولى أولاً، ففضل أن يُذَل مع شعب الله لأنه «رجل الله». فلنَدْعُ الله أن يعيننا لنضع مرضاته وعمل مشيئته والقيام بخدمته قبل كل شيء في حياتنا، فينال المرء منا لقب «رجل الله».

الأغلب أن هذا المزمور كُتب قرب نهاية أربعين سنة من التيهان في البرية، وقد رأى موسى عقاب الله الذي حلَّ بالشعب. ففي بداية رحلة الخروج أرسل موسى جواسيس ليستكشفوا الأرض التي وعد الله أن يعطيها لهم، فرجعوا بتقارير رائعة عنها، تؤكد صدق ما قاله الله في وصفها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا أنهم قادرون أن يمتلكوها، لأن سكانها أقوياء وهم ضعفاء، وقالوا: «كنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم» (عد 13: 33). ولكن وقف رجلان عظيمان، هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة، يقولان إن الشعب قادر على امتلاكها، لا من أنفسهم، لكن لأن الله وعدهم بها. وثار الشعب على موسى وعلى هارون، وقالوا: «نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر» (عد 14: 4). وأرادوا أن يرجموا موسى وهارون، فقال الله لموسى: «إني أضربهم بالوبأ وأبيدهم، وأصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم» (عد 14: 12) ولكن موسى، الذي كانت الثورة ضده، تضرع إلى الله في غيرة صادقة ومحبة عظيمة، وفي حكمة القائد الذي يزن الأمور بدقة ورويَّة وصلى: «اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك» (عد 14: 19). فقال الله: «قد صفحت حسب قولك.. إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي.. وجرَّبوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حلفتُ لآبائهم.. قل لهم: في هذا القفر تسقط جثثكم.. لن تدخلوا الأرض.. أما أطفالكم.. فإني سأُدخلهم.. فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر» (عدد 14: 20–32). وقرب نهاية الأربعين سنة تأمل موسى الجيل الذي خرج معه من أرض مصر، فإذا هم قد ماتوا جميعاً، فكتب مزمورنا عن عقاب الله الأزلي الأبدي للإنسان الفاني!

## في هذا المزمور نجد:

أولاً – عظمة الله وفناء الإنسان (آيات 1–6)

ثانياً – غضب الله على الإنسان (آيات 7–12)
ثالثاً – طلبات الإنسان (آيات 13–17)

# أولاً _ عظمة الله وفناء الإنسان
## (آيات 1-6)

1 – عظمة الله: (آيات 1–4).

(أ) **هو الرب**: «يا رب» (آية 1أ). الرب هو السيد، يخاطبه الإنسان التراب، كما قال إبراهيم: «شَرَعتُ أكلم المولى وأنا ترابٌ ورمادٌ» (تك 18: 27). والرب هو المدافع الذي يحرس شعبه ويشق لهم طريقاً في البحر، ويُغرق أعداءهم فيه! هذا الرب السيد قريب من شعبه حتى أنه تجسد وصار إنساناً، وُلد في مذود وعاش بيننا، وصار مجرَّباً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية، ومات عنا على الصليب ليفتح لنا طريقاً إلى الأقداس، ونحن ننتظر مجيئه ثانية ديّاناً عادلاً للعالم.

(ب) **هو الملجأ**: «ملجأ كنت لنا في دور فدور» (آية 1ب). أنقذ الله الأذلاء من سوء العذاب وعبودية فرعون، وشق أمامهم البحر، وكان ملجأهم في صحراء سيناء عندما لم يكن لهم بيت يأوون إليه، ولا حقل يزرعونه ويحصدونه، ولا نهر يستقون منه. أطعمهم في البرية وأعطاهم السلوى، وظلل عليهم نهاراً بعمود سحاب، وحماهم ليلاً من الأعداء والوحوش بعمود نار. ومع أنهم ساروا في صحراء قاحلة إلا أن ثيابهم لم تبلَ وأرجلهم لم تتورَّم أربعين سنة (تث 8: 4) كما قال الله على لسان موسى: «سرتُ بكم أربعين سنة في البرية لم تبلَ ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبل على رجلك» (تث 29: 5). ولم تتوقف عناية الله بهم أبداً، بل كان لهم الملجأ الدائم، في دور فدور، في كل جيل. فنِعمَ الملجأ الذي نحتمي فيه دوماً.

(ج) **هو الأزلي الأبدي**: «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (آية 2). وصف سفر التكوين الخلق بقوله: «هذه مبادئ السماوات والأرض حين خُلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات» (تك 2: 4). فمن قبل أن يعطي الرب للجبال وجودها، ومن قبل أن أبدأ المسكونة هو الله، منذ الأزل، والباقي إلى الأبد، لا يحدُّه زمن، لأنه العظيم الخالق الأزلي الأبدي، لا بداية أيام له، ولا نهاية حياة، وقد قال: «أنا هو. أنا الأول وأنا الآخِر، ويدي أسَّست الأرض، ويميني نشرت السماوات» (إش 48: 12، 13). «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن، والذي كان، والذي يأتي، القادر على كل شيء» (رؤ 1: 8).

(د) **هو الممسك بمصير الإنسان**: «تُرجع الإنسان إلى الغبار، وتقول: ارجعوا يا بني آدم» (آية 3). حياة الإنسان بيد الله، فقد قال لآدم: «بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تك 3: 19). والأمر الإلهي «ارجعوا يا بني آدم» قد يعني أن الله هو الذي يأمر بأن تنتهي حياة الإنسان بالموت. «بسلِّم الروحَ كلُّ بشرٍ جميعاً، ويعود الناس إلى التراب» (أي 34: 15). أو قد يعني أن الله يأمر بقيامة الموتى بعد فنائهم، كما قال المسيح: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة» (يو 5: 28، 29).

(هـ) **هو خارج نطاق الزمن**: «لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمسٍ بعدما عبر، وكهزيع من الليل» (آية 4). ينتهي جيل بعد جيل من البشر وكأنه يوم أمس. عاش متوشالح بن أخنوخ 969 سنة، وهي لا شيء بالنسبة للأبدية التي لا نهاية لها، وهي في الذاكرة الإلهية كأنها يوم أمس! «لا يَخْفَ عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء، أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد» (2بط 3: 8). بل إن ألف سنة عند الله كهزيعٍ من الليل. وكان اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة هُزُع: الهزيع الأول من حلول الظلام إلى منتصف الليل، والهزيع الثاني من منتصف الليل إلى صياح الديك أي الفجر تقريباً، والهزيع الثالث من صياح الديك إلى طلوع النهار. أما الرومان فكانوا يقسمون الليل إلى أربعة هُزُع. وألف سنة عند الرب كهزيع من الليل، لا يحس به النائم، فليس عند الله ماضٍ ومستقبل، لأن الكل حاضر. ولا يوجد عنده قبل وبعد، بل الكل عنده الآن.

2 – فناء الإنسان: (آيتا 5، 6).

(أ) **سريع النهاية**: «جرفتهم» (آية 5أ). كأنهم بناء أقيم على رمل، جرفه السيل فلم يعد له وجود.

(ب) **قصير العمر**: «كسِنة يكونون» (آية 5ب). السِّنة هي النومة القصيرة أو الإغفاءة. ويقول الله إنه يجعل أعداءه ينامون نوماً أبدياً ولا يستيقظون (إر 51: 39).

(ج) **يشبه العُشب:** «بالغداة كعشب يزول. بالغداة يزهر فيزول. عند المساء يُجَزُ فييبس» (آيتا 5ج، 6). ما هو الإنسان؟ إن قارنته بالجبال أو الأرض تجده لا شيء. فما بالك إن قارنته بالخالق الذي هو إلى دور فدور )إلى كل الأجيال). الإنسان كالعشب الأخضر في مطلع النهار، اليابس في نهايته! يأكله الحيوان أو يجزّه الإنسان! «صوتُ قائل: نادِ. فقال: بماذا أنادي؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عشب. يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (إش 40: 6-8). «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي 14: 1، 2). تأمل موسى زملاءه بعد نحو أربعين سنة من الخروج، فوجدهم قد ماتوا جميعاً، وتأمل نفسه وقد اشتعل الرأس شيباً، فبدت الحياة هزيلة والأيام قليلة، لكنه لم يحوِّل عينيه قط عن إلهه، فرأى الحي الباقي الذي له وحده الدوام. وعندما نرفع نحن نظرنا إلى الله ندرك أنه ملجأنا في كل أدوار الحياة، وأنه الملجأ الوحيد الذي يدوم إلى الأبد.

## ثانياً _ غضب الله على الإنسان

## (آيات 7-12)

1 – غضب يُفني ويُرعب: «لأننا قد فنينا بسخطك، وبغضبك ارتعبنا» (آية 7). يعلن المرنم ضعف الإنسان أمام الغضب الإلهي الذي يُفني الخاطئ ويرعبه. وهذه صورة جيش يواجه كارثة ستحل به ولا يقدر أن يواجهها، كما قيل عن سبط بنيامين لما انهزم أمام سائر الأسباط: «هرب رجال بنيامين برعدة، لأنهم رأوا أن الشر قد مسَّهم» (قض 20: 41). ونرى الرعب من الفناء على وجوه إخوة يوسف عندما اكتشفوا فجأة أن ممثل فرعون الذي يكلمهم هو أخوهم الذي سبق أن باعوه «لم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه» (تك 45: 3). قبل أن يكتشفوا من هو يوسف كانوا يظنون أنهم قادرون أن يحبكوا كذبهم، وأن يقولوا للرجل العظيم شيئاً ينطلي عليه فيتمكنون من أخذ القمح ليرجعوا إلى عائلاتهم. لكن ماذا عساهم يفعلون وقد انكشف أمرهم؟ لقد أصابهم الرعب، لأنهم ظنوا أنه سيفنيهم. فإن كان هذا رعب إخوة يوسف أمام أخيهم البشري، فكم يكون رعب الخاطئ غير التائب في محضر الله كلي القداسة؟

2 – غضب يكشف الآثام: «قد جعلت آثامنا أمامك، خفيّاتنا في ضوء وجهك» (آية 8). عندما ثار الشعب على موسى وأرادوا أن يرجعوا إلى مصر غضب الله عليهم، ولم يعد يُريهم وجه الرضا، ولم يستر خطاياهم، بل أظهرها ووبخهم، وأعلن أن عقابهم آتٍ لا ريب فيه. فلم تكن تلك الثورة في حقيقتها ضد موسى، لكنها كانت ضد الله بسبب ضعف إيمان الشعب بمواعيده الصادقة والأمينة، والتي أعلنها الرب على فم موسى، وبرهن موسى إيمانه بها لما حمل عظام يوسف معه من مصر، لأن يوسف استحلف بني إسرائيل قائلاً: «إن الله سيفتقدكم فتُصعدون عظامي من هنا معكم» (خر 13: 19). ومع ذلك فلم يؤمن بمواعيد الله هذه إلا يشوع بن نون وكالب بن يفنة.

كم نحتاج إلى توبة فورية عن خطايانا حالما نعرفها، فنعترف بها ونتوب عنها فوراً، مصلين: «اغسلني كثيراً من إثمي، ومن خطيتي طهِّرني، لأني عارفٌ بمعاصيَّ وخطيتي أمامي دائماً» (مز 51: 2، 3). ونحن نرتكب خطايا خافية على عيوننا ولو أنها موجودة فينا، «السهوات من يشعر بها؟ من الخطايا المستترة أبرئني» (مز 19: 12)، فإن كانت مستورة عنا إلا أنها مكشوفة لله صاحب العينين اللتين تخترقان أستار الظلام وتريان كل شيء. «وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب 4: 13). وهناك خطايا مفضوحة وأخرى مستورة، قال عنهما الرسول بولس: «خطايا بعض الناس واضحة تتقدَّم إلى القضاء (لأنها علنية ومكشوفة)، وأما البعض فتتبعهم (لأنها غير منظورة ومستورة وخفية). كذلك أيضاً الأعمال الصالحة واضحة، والتي هي خلاف ذلك لا يمكن أن تُخفى» (1تي 5: 24، 25). ويقول موسى رجل الله للرب إن خطاياه وخطايا شعبه واضحة مكشوفة، وإن أجرتها هي موت، وهو يطلب الرحمة والستر له ولشعبه.

3 – غضب يقصِّر العمر: «لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك. أفنينا سنينا كقصة. أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرض سريعاً فنطير» (آيتا 9، 10). عندما تأمل موسى مصير الجيل غير المؤمن، رأى أيامهم تنقضي تحت شدَّة الغضب الإلهي، وكأنه يقول مع إرميا: «ويل لنا لأن النهار مال، لأن ظلال المساء امتدت» (إر 6: 4). كانت أيام الآباء تقرب من الألف سنة، فقد عاش آدم 930 سنة، وابنه شيث 912 سنة، ونوح 950 سنة (تك 5: 5، 8 و9: 29). ولكن الخطية قصرت عمر الناس، فصارت أيام سنينا سبعين سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبلية. عندما سأل فرعون يعقوب أبا الأسباط: «كم هي أيام سني حياتك؟» أجاب: «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حياتي، ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم» (تك 47: 8، 9). وقال أليفاز لأيوب: «الإنسان مولود للمشقَّة، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح» (أي 5: 7).

«أفنينا سنينا كقصة» وما أسرع ما تنتهي رواية القصة، سواء كانت طويلة أو قصيرة! لكن تأثيراتها لا تنتهي، فقد ترتفع بأفكارنا إلى مستوى أخلاقي عالٍ، وقد تقودنا إلى أفكار نجسة. صحيح أنا حياتنا قصيرة وتنتهي بسرعة، لكن تأثيراتها على المحيطين بنا وعلى الجيل القادم لا تنتهي. فما هو تأثير قصة حياتك في شريك حياتك وأولادك وأصدقائك وأحفادك؟

4 – غضب قوي: »مَن يعرف قوة غضبك؟ وكخوفك سخطك» (آية 11). كل من يعرف قوة غضب الله على الخطية يخشى الله ويتقيه حتى لا يثير غضبه عليه، كما قال الحكيم: «اتَّقِ الرب وابعُد عن الشر» (أم 3: 7) «مخافة الرب بُغض الشر. الكبرياء والتعظُّم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضتُ» (أم 8: 13). وقال الله على فم موسى: «يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقوني ويحفظوا جميع وصاياي كل الأيام، لكي يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد» (تث 5: 29).

5 – غضب يُعلِّم الحكمة: »إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا فنُؤتي قلب حكمة» (آية 12). قال موسى في نشيده، قرب نهاية حياته عن شعبه: «إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (تث 32: 28، 29). وفي مزموره يطلب من الرب أن يعلِّمه ويعلمنا أن أيامنا قليلة، وأن نهايتها مجهولة، فنكون حكماء في قراراتنا «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت 16: 26). ولو أدرك الإنسان إحصاء أيامه وكم هي زائلة، لقضاها يجهِّز نفسه للأبدية السعيدة مع الله. وتأتينا الحكمة الإلهية من الله، بحسب القول الرسولي: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله، الذي يعطي بسخاء ولا يعيِّر، فسيُعطى له» (يع 1: 5).

# ثالثاً _ طلبات الإنسان
## (آيات 13-17)

راقب موسى أصدقاءه وزملاءه أثناء سنوات التيه الأربعين في صحراء سيناء وهم يموتون واحداً بعد الآخر، فرفع وجهه إلى الله مصلياً طالباً أربعة أشياء:

1 – طلب الرحمة: »ارجع يا رب. حتى متى؟ وترأف على عبيدك. أشبعنا بالغداة من رحمتك» (آيتا 13، 14أ). طلب موسى من الله أن يرجع عن غضبه على شعبه، وأن يشرق عليهم بنور رحمته، فيشبعون منها في الغداة (في الصباح الباكر).. عندما صنع الشعب عجلاً ذهبياً سجدوا له فغضب الرب عليهم، فصلى موسى: «ارجع عن حمو غضبك» (خر 32: 12) وصلى داود من بعده: «وأنت يا رب، فحتى متى؟ عُد يا رب. نجِّ نفسي. خلصني من أجل رحمتك» (مز 6: 3، 4). قال مارتن لوثر إننا سنظل دوماً شحاذين نستجدي رحمة الله، فلا يوجد من هو مستحق. روى المسيح مثلاً عن فريسي ظنَّ أنه يستحق رضى الله، فصلى مفتخراً بنفسه محتقراً الآخرين، فرفض الله صلاته. ووقف عشار من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء خجلاً من ذنوبه، وقرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فغفر الله له (لو 18: 10–13). وطلب الرحمة يكون دوماً مصحوباً بالاعتراف والتوبة، لأننا نأسف على ما ارتكبناه، ونعزم على هجره، قائلين: «كلنا كغنم ضللنا. مِلنا كل واحد إلى طريقه. الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد.. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (إش 53: 6 ورو 3: 12، 23). لكن في صليب المسيح جاءتنا الرحمة عندما مات الكامل من أجل الناقصين، والبار من أجل الأثمة، فقد أخلى نفسه وأخذ صورة عبد ليجعلنا أبناء لله. صار ما لم يكُنْهُ ليجعل منا ما لم نكنه. هذه هي الرحمة الحقيقية. «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات» (أف 2: 4–6).

2 – طلب الفرح: «فنبتهج ونفرح كل أيامنا. فرِّحنا كالأيام التي فيها أذللتنا، كالسنين التي رأينا فيها شراً» (آيتا 14ب، 15). طلب موسى من الرب أن يفرِّحهم ويعوضهم عن الأيام التي أذاقهم فيها الذل، لأن الرب عندما يرجع عن غضبه يرحم الخاطئ التائب، فيبتهج التائب المغفور له ويفرح، لأن الرب رضي عنه وأرضاه، ويكون فرحه النابع من رحمة الله عليه فرحاً دائماً «كل أيامنا». ويقول الذين غُفرت خطاياهم بعضهم لبعض: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (1يو 3: 1) ويرنمون:

**ما أبهج اليوم الذي — أمنت فيه بالمسيح**
**أضحى سروري كاملاً — ورنَّ صوتي بالمديح**
**حبي لفاديَّ المجيد — يوماً فيوماً سيزيد**
**عمر جديد، يوم سعيد — يوم اختصاصي بالوحيد**

عندما غفر الله لشعبه التائب، قال: «عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم و نادوا..أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش 40: 1، 2). ما أجمل حياة التوبة، فإنه «يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلي توبة.. يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لو 15: 7، 10). أما الفرح الأعظم فهو من نصيب التائب الراجع إلي الله، لأنه يغفر له خطاياه، ويصالحه معه، ويمنحه الأُنس الدائم معه، ويجعله ملِكا له. هذا الإله العجيب في محبته يؤكد للتائب الراجع حضوره الدائم معه، ويفيض عليه بركات السماء والأرض دائماً، ويستجيب طلباته، وينقذه من المآزق، ويجعله يختبر الرحمة الإلهية كل يوم وكل اليوم، فيقول: «إنما خير ورحمه يتبعانني كل أيام حياتي، وأسكن في بيت الرب إلي مدى الأيام» (مز 23: 6).

3 – طلب إظهار قوة الله: «ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم» (آية 16). يطلب موسى من الرب أن يُظهر أفعال عنايته بطريقة مرئية كما فعل وقت الخروج من مصر، فرأى الجميع عمود النار وعمود السحاب اللذين قاد الرب بهما شعبه في صحراء سيناء (خر 13: 21، 22)، كما رأوا شق البحر الأحمر فعبروا ونجوا من يد فرعون (خر 14: 21، 28). واستجاب الله صلاة موسى، فرأى البعيد والقريب فعل الله المعجزي لعبيده، وجلال أعماله لبنيهم الذين شاهدوا انفلاق مياه نهر الأردن ولمسوا أعمال العناية الإلهية التي بلا حدود (يش 3: 13، 15، 16 و4: 7).

إلهنا إلهٌ فاعل في التاريخ، كما أنه فاعلٌ بيننا اليوم، وغداً «كنتُ فتى وقد شخت ولم أر صدِّيقاً تُخلِّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويُقرض، ونسله للبركة» (مز 37: 25، 26) «فيُعلن مجد الرب، ويراه كل بشرٍ معاً» (إش 40: 5).

3 – طلب تثبيت عمل اليدين: «ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا، وعمل أيدينا ثبِّت علينا، وعمل أيدينا ثبِّته» (آية 17). يطلب موسى من الله أن يثبت ويؤيد كل ما يقوم به من عمل يومي، فهل نظن أن موسى طلب أن يثبت الرب عليه عمله لو لم يكن عملاً صالحاً؟ هل يمكن أن يطلب تثبيت العمل الرديء عليه؟ إذاً فمعنى الطلبة أن يُنعم الله عليه بأن يجعل عمله صالحاً، فلا يمكن أن يعمل الصالح إلا إن عمل الله فيه أولاً، كما قالت النصيحة الرسولية: «لأننا نحن عمله (عمل الله) مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف 2: 10). «إذاً يا إخوتي الأحباء، كونوا راسخين، غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب» (1كو 15: 58).

عندما نعمل أي شيء دعونا نعمله لمجد الله. ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا فيصبح عملنا صالحاً، يثبته علينا ليستمر ويمتد ويتسع. فما هو العمل الذي تقوم به للرب؟ وما هي الخدمة التي تؤديها له لتستطيع أن تصلي: امنحني نعمتك يا رب، وعمل يديَّ ثبت عليّ؟